كارولين



الكونتيسه دي سيغور

ترجمة هنري زغيب

كارولين

الكونتيسه دي سيغور

ترجمة هنري زغيب

كارولين
ترجمة هنري زغيب
الطبعة الاس ١٩٨٩ .

الناشر وزارة الثقافة والاعلام ـ دار ثقافة الاطفال
العراق ـ بغداد ـ ص بـ ٨٨٤١

سلسلة روايات عالمية
تصدر عن قسم النشر في دار ثقافة الاطفال
المدير العام: فاروق سلوم
سكرتير تحرير السلسلة: فاروق يوسف

الى حفيدتي

فالنتين دي سيجور ـ لاموانيون

صغيرتي،

إليك ـ وأنتِ الجميلة المحبوبة المدلّلة ـ

أهدي قصة ولد ساذج، غير محبوب، ووحيد فقير غير مدلل.

قارني حياته بحياتك.

واشكري الله على نعمته.

الكونتيسة دي سيجور

غريبوي



كانت السيدة تيبو ممددة في سريرها تتأمل، بحزن، ابنتها كارولين المنهمكة بانهاء ثوب، عليها حمله عند المساء الى السيدة ديلمي، زوجة العمدة. والى جانب السرير، كان الفتى غريبوي (ذو الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من العمر) يحاول اعادة لصق أوراق تفلتت من كتاب وسخ قديم. وكان يكرر الحركة اياها مرة تلو مرة، ولاينتهي، لانه كلما ألصق ورقة، عاد يشد بها كي يتأكد من ثبوتها فتنفصل من جديد لأن غراءها لايكون جف بعد. ولم يكن هذا الجهد الضائع يغضب الولد أو يعكر مزاجه. فبادرته أمه:

الأم

هذه الأوراق ياحبيبي، لن تلصق اذا استمريت في الشد بها فورا.

غريبوي

يجب أن تلصق ولاتعود تنتزع. لماذا أشد بسائر الأوراق فلا تنتزع؟ ولماذا لاتكون هذه مثلها؟

الأم

لأن هذه ممزقة قبلا.

غريبوي

ولأنها ممزقة قبلا، أريد الصاقها. يجب أن يكون لدي كتاب سوي. أعطتني اياه كارولين وأريد تجديده.

الأم

دع الأوراق تجف، ولاتشد بها فورا.

غريبوي

وماذا يحصل؟

الأم

لاتعود تنتزع.

غريبوي

صحيح؟ لم أكن أعرف ذلك. سأدعها تجف حتى الغد. وغداً نرى.

وعمد غريبوي الى الصاق جميع الأوراق المبعثرة، ثم وضعه على الطاولة حيث كتاب كارولين وأوراقها.

غريبوي

كارولين، متى تنتهين من هذا الثوب؟ أنا جائع. انه وقت العشاء.

كارولين

فورا. عندي زران، بعد، أقطبهما وأنتهي... هه. انتهيت. سأحمل الثوب الى السيدة ديلمي فورا، وأعود سريعة أحضر لك العشاء. ابق أنت

بجانب أمي فقد تحتاج مساعدة.

غريبوي

واذا لم تحتج مساعدة؟

كارولين (ضاحكة)

لاتكون احتاجتك.

غريبوي

اذن، أفضل الذهاب معك، فقد لاتحتاجني. مضى علي وقت طويل في البيت.

كارولين

ولكن لايمكن أن نترك أمي وحدها في البيت وهي مريضة. إسمع: يمكنك أن تحمل أنت الثوب الى السيدة ديلمي. سأهيئها لك في رزمة، تتأبطها وتذهب فتسأل عن الخادمة وتعطيها اياه باسمي. مارأيك؟

غريبوي

فهمت: أتأبط الثوب، أذهب عند السيدة ديلمي. أسأل عن الخادمة. وأعطيها اياه باسمك.

كارولين

عظيم. اذهب بسرعة وعد بسرعة، تجد حساءك جاهزا.

وحمل غريبوي الرزمة سريعا الى منزل السيدة ديلمي. التقى ساعي البريد يخرج من الباب فسأله عن الخادمة.

الساعي

انها في المطبخ. عند هذا الباب الأول الى يمينك.

كان غريبوي يعرف الطريق الى المطبخ. وصل. حيّى الخادمة، وقدم لها الرزمة.

غريبوي

آنسة روز، شقيقتي كارولين ترسل اليك هديةً، هذا الثوب خاطته لك

بيدها وحرصت على أن تنهيه هذا المساء.

روز

ثوب؟ لي أنا؟ كم هي رائعة، كارولين. فلأفتح فورا هذه الرزمة.
وانهمر من الرزمة فستان زهري وأبيض بين القطن والموسلين. فشهقت من الفرح، وشكرت غريبوي. ومن شدة تأثرها، أعطته قطعة كبيرة من الحلوى، وودعته بقبلة. ثم هرولت الى غرفتها تقيس الثوب، فاذا به على قياسها تماما.

أما غريبوي، فعاد الى المنزل فخورا باتمام مهمته.

غريبوي

نفذت المهمة بنجاح. الآنسة روز فرحت كثيرا، قبلتني، وقدمت لي قطعة كبيرة من الحلوى كدت ألتهمها لكنني فضلت أن أحملها معي فتأكلي أنت حصة منها، وأمي حصة أخرى.

كارولين

هذا لطف منك ياغريبوي. أشكرك عليه. هوذا الحساء جاهز. فلنأكل.

غريبوي

وما الحساء الليلة؟

كارولين

شوربة ملفوف ولحم. مع سلطة.

غريبوي

عظيم. أنا أحب شوربة الملفوف، وكذلك السلطة. أما الحلوى، فنأكلها بعدئذ. وجلس غريبوي وكارولين الى المائدة. وسكبت كارولين لأمها المقعدة في فراشها بسبب شلل عام أصابها.

كان غريبوي يأكل بشراهة، ولا أحد يتفوه بكلمة. وحين جاء وقت الحلوى، سألت كارولين شقيقها اذا كانت السيدة ديلمي هي التي اعطته اياها.

غريبوي

كلا. لم ار السيدة ديلمي. انت طلبت مني أن أسأل عن الخادمة، ففعلت.

كارولين

ولم تعرف اذا كانت السيدة ديلمي فرحت بالثوب أم لا؟

هنا الرسم ص ١١ في الاصل

كلا . لم أهتم لذلك. وماهم اذا فرحت به أم لا؟ الآنسة روز هي التي تلقته وهي التي أحبته وفرحت به وقالت عنك رائعة.

كارولين (مستغربة)

رائعة؟ أنا؟ لم يكن من الرائع أن أرسل هذا الثوب. انه واجب.

غريبوي

لست أدري. أنا رددت على مسمعك ماقالته لي الآنسة روز.

بقيت كارولين مستغربة فرح الآنسة روز. وازداد استغرابها حين وصل الولد كولا (ابن السيدة ديلمي بالتبني) يسأل لاهثا الذي كان من المفروض تسليمه الى السيدة ديلمي هذا المساء.

كارولين

الثوب؟ ولكنني أرسلته منذ ساعة. حمله غريبوي بنفسه.

كولا

ومع ذلك، تطالب به السيدة ديلمي. اذن: هي لم تستلمه.

كارولين

غريبوي، ألم تعط الثوب للآنسة روز؟

غريبوي

بلى. أعطيتها اياه باسمك كما طلبت مني.

كارولين

اذن قد يكون سها عن بالها أن تعطيه لسيدتها. اهرع، كولا، فورا، وقل

للسيدة ديلمي ان ثوبها موجود عند الآنسة روز منذ ساعة.

عاد كولا راكضا. وبقيت كارولين قلقة، حادسة بدون اثبات حسي أن في الأمر غلطة ارتكبها غريبوي. وعن كل سؤال، كان غريبوي يجيب بالعبارة نفسها: «أعطيت الرزمة للآنسة روز كما طلبت مني».

أخذت كارولين تهئ لنوم العائلة. فأمها مقعدة منذ خمس سنوات، ولاتستطيع مساعدة ابنتها في أي من ترتيبات المنزل. لذا كانت كارولين تقوم وحدها بالأعمال، لما تتمتع به من نشاط وجد وحيوية وفتوة، فتبقي البيت دائما في أفضل حال من النظافة برغم أثاثه العتيق. وكانت، بما تتقاضاه من أشغالها، تكمل ماينقص في البيت أو لأحد فيه، وخاصة والدتها. وكان غريبوي يساعدها بما يستطيعه. سوى أن ذكاءه المحدود لم يكن يتيح لشقيقته تكليفه الا بعمل يقوم به في حضورها.

كان اسمه الأصلي بابيلاس. ولكنه، ذات يوم، عن له - وهو يلبس ثوباً جديداً - أن يحمي ثوبه من زخّ المطر، فنزل في ساقية غطته مياهها حتى ركبتيه، فيما حمته صفصافاتها فوقه من المطر. فسخر منه رفاقه وصرخوا انه فعل مثل ذلك الولد الساذج غريبوي الذي تروي الحكاية أنه كان ينزل الى الماء احتماء من المطر. ومنذ ذلك اليوم، صار الصبي لاينادى الا باسم «غريبوي»، فرافقه هذا الاسم حتى في عائلته. وكان في شكله (وجه ناعم، متناسق، بنية هزيلة، فم دائم الفتحة، قامة قصيرة، نظرات فارغة) مايلفت اليه ويشير الى خلله العقلي دون أن يكون في سلوكه شئ منفر.

وكان يساعد شقيقته في الترتيب والتنظيف، ذلك المساء اياه، حين سمع على الباب طرق سريع جعل كارولين تصرخ لاشعوريا: «أدخل». وانفتح الباب فدخلت منه الآنسة روز، وجهها محمر غضبا.

روز

آنسة كارولين، أرجوك أن تحتفظي بمزاجك الثقيل لك وحدك،وألا

تسعي الى خلق مشـادات لي مع سيدتي، اذا كنت تخططين للحلول مكاني عندها.

كارولين

ماذا تقصـدين ياآنسـة روز؟ لم أفهم اتهـامك. ولم أسع مطلقا الى مخاصمتك مع سيدتك.

روز

وهـل لكي تفـرحيهـا أرسلت ثوبهـا الي فيمـا كانت أرسلته اليك لتصليحه وتنتظره هذا المساء؟؟ أنا عمدت فورا الى ارتدائه ظنا مني أنهـا بادرة منـك رائعة. وصادف أن كانت السيدة ديلمي واقفة الى نافـذتها فرأتني أمر به وعرفته ثوبها. نهرتني ومسختني في الشارع أمام الناس، وأدخلتني لأنزعه عني فيما كنت أظنك أرسلته الي كهدية. وبلغت بي الحماقة أن أعطيت قطعة حلوى كبيرة لشقيقك الذي شاركك هذه اللعبة القذرة.

كارولين

ماتقولينه ياآنسة روز يفاجئني كثيرا. قلت لشقيقي أن يحمل اليك الثوب، ظنا مني أن تعطيه لسيدتك. ولم يمر في بالي أن تتلقيه كهدية مني أنا المسكينة التي تكاد لا تكفي أود أسرتها. وشقيقي نفذ تماما ماطلبته منه ولا أظنه يستاهل كل هذا الغضب.

روز

اعتذري مني ماشئت... ولكنني أحذرك بحزم: اذا كنت تخططين لاحتـلال مكـاني لدى السيـدة ديلمي فاعلمي أنك لن تنجحي. ان السيدة ديلمي بخيلة ومزاجية. تدفع قليلا وتراقب كثيرا، وتنهر وتوبخ باستمرار، بسبب وبدون سبب. تحصي قطع الحطب والشموع. تحجر على السكـر والبن والمـربى والنبيـذ وكل شئ. منزلها خاو كأنه كوخ مهجور. والى هذا، يدخله أطفال كثيرون فيخلقون فيه فوضى لاتطاق.

احذرك سلفا من السعي للدخول اليه.

كارولين

ولكنني لا اسعى مطلقـا للدخول الى منزل السيدة ديلمي كعاملة فيـه. تأكدي. انت تعرفين أن لدي أمي وشقيقي، ولايمكنني تركهما لحـظة. وبعد... اذا كان منزل السيدة ديلمي بالفعل سيئا الى هذا الحد، فلماذا لاتزالين فيه منذ سنة، ولماذا تبدين منزعجة لفكرة أنني ربمـا أخطط لاخراجك منه؟ أنا لم أعهد السيدة ديلمي الا طيبة مع الجميع، وبصورة خاصة معك.

حين مرضت قبل ثلاثة أشهر، كانت تعتني بك كأنك ابنتها، ثلاثة أيام وثـلاث ليـال. وعليك الاقرار لها بهذا الفضل، وعدم الكلام عليها في غيابها بهذا الشكل.

روز

لست بحـاجة الى مواعظك ياآنسة. أعرف ما علي قوله أو عدم قوله. وألاحظ من كلامك أنك تعرفين كيف تكيلين المديح للسيدة ديلمي لكي تمتصي أموالها. ولكنني سأكون لك بالمرصاد، وأثوابها بعد اليوم لن تجد طريقها اليك. وسأعرف كيف أفسد سمعتك كخياطة ماهرة.

كارولين

ولم لاتجد أثوابها طريقها الي طالما أعتني بخياطتها جيدا؟ أنا أعمل بحسب ضميري والله يحاسبني ويحمي عملي، ولن يحجب عني رضاه، وأنا أتكل عليه.

روز

عظيم. واتكلي علي أنا أيضا. سأساعدك على مهارتك: ضربة مقص من هنـا، خرق ثنية من هناك، وسترين كيف يصل الثوب من عندك الى السيدة ديلمي، وكيف ستحافظين على سمعتك ومهارتك.

كارولين

معقول يا آنسة روز أن ترتكبي هذا الفعل؟

غريبوي

وبم آذتك شقيقتي ياآنسة روز؟ أنا سأعرف كيف أمنعك من أذيتها.

روز

اسكت أنت أيها الأبله. وهل أنت من سيمنعني من العبث بأثواب تجئ من عند شقيقتك أيها المعتوه؟ أتحداك أن تفعل.

غريبوي

أليس في البلاد غير السيدة ديلمي، أيتها العانس اللئيمة ؟ أنا أيضا سأعرف كيف أخرب سمعتك اذا آذيت شقيقتي.

روز (غاضبة)

عانس؟؟؟ أنا عانس؟؟ أكثر من عشرين عريسا تقدموا لي وأنا رفضتهم.

غريبوي

عددي لي أسماءهم فورا. واحد منهم على الأقل.

روز

الأسماء.. الأسماء.. كأنني مازلت اتذكر أسماءهم!

غريبوي

واحد على الأقل.. اسم واحد.

روز

أولا: طايوشون الطحان.

غريبوي

طايوشون؟ عامل الطاحونة الأحدب؟ هاهاها. حدبته أكبر منه، وساقاه مقوستان وله فم قرد! هاهاها! انه زوج وسيم! وأنت كم تصبحين أجمل حين يصير اسمك: السيدة طايوشون! كم يليق بك!

روز

لكنني رفضته ياأحمق! ثم تقدم لي بورسيفلو البقال.

غريبوي

وهـذا الآخر!! المفلطح الأنف والأعوج الفم والسكير صبحا ومساء!!

هذا أيضا زوج مثالي! اذا كان الباقون من هذا الطراز، فلا تكملي. فهمت كيف هم خطابك. بورسيفلو، طايوشون.. هاهاها! اختيار ناجح. تهانينا.

وانفجرت الآنسة روز غضبا من سخرية غريبوي، فاندفعت صوبه كي تسدد له لكمة بقبضتها. لكن غريبوي تنبه لها. وبحيوية ابن الخامسة عشرة، تناول كرسيا ورفعه بينه وبين روز الهاجمة عليه بصفعة، قد تكون أقوى ماتلقاه في حياته. فصرخت روز من ضربة قاسية تلقتها على يدها، فيما صرخ غريبوي من فرحة الانتصار. شدته كارولين من سترته الى الوراء، ووقفت بينه وبين روز. لكن هذه بدت منهزمة، وغلب ألمها على غضبها، فحملت بيدها اليسرى يدها اليمنى الوجيعة، وهي تئن، وأتاحت لكارولين أن تتفحص جرحها وتمسد لها مكان الألم بزيت الأوفاريقون (المصنوع من جنس نباتات طبية وتزيينية).
بعدئذ، خرجت الآنسة روز بدون أي تعليق، صافقة وراءها الباب بعنف.

وعد كارولين

بقيت السيدة تيبو بدون حراك طوال تلك الحادثة التي هزتها بعنف.

وحين خرجت الآنسة روز، نادت غريبوي:

الأم

كيف اعتقدت الآنسة روز أن شقيقتك أهدتها ثوب السيدة ديلمي؟

غريبوي

وهل أنا كنت أعرف أن الثوب هو للسيدة ديلمي ؟ أنا نفذت ما قالته لي كارولين.

الأم

وماذا قلت لها؟ أعد لي.

غريبوي

لاأذكر تماما ماقلت بالحرف. ربما: «شقيقتي ترسل اليك هذا الثوب الذي خاطته خصيصا لك»

الأم

... وظنت الآنسة روز أن الثوب لها.

غريبوي

طبعا. طالما أنا نفسي ظننت ذلك، فلماذا هي لاتظن ذلك أيضا؟

كارولين

الآن فهمت غضبها. ظنت أنني أسخر منها وأعرضها لتوبيخ سيدتها.

الأم

وأنت يابنتي، لماذا تعهدين بهذه المهمات الى غريبوي؟ تعرفين أنه، المسكين....

كارولين (بحمية)

... مجامل. أعرف. وهو يسعى جهده لتنفيذ مهماته على أكمل وجه. أعرف ذلك جيدا عن شقيقي الطيب ياأمي، وهو سعيد كلما نفذ لي مطلبا.

غريبوي

ياشقيقتي الحبيبة، أريد دائما أن أؤدي لك خدمة. ولكن لست أدري كيف تنقلب الخدمة ضدي، وعوض أن أخدمك، أقوم بما يؤذيك. صدقيني: هذا عن غير قصد.

الأم

ولماذ تتدخل في شؤونها وأنت لاتملك من الذكاء مايخولك ذلك؟

كارولين

لايا أمي، لاتقولي هذا. غالبا ما ينفعني.

غريبوي (حزينا)

أعرف، كارولين، أعرف. منذ لحظات قاطعت أمي وكانت تهم أن تقول بأنني ساذج أبله. أعـرف أنني كذلك، انمـا لا بالقدر الذي تظنان. وسترين كيف سيكون لي ذكاء الانتقام لك من الآنسة روز.

كارولين

لايا غريبوي. أحذرك من ذلك. لاأريد الانتقام. كن طيبا ومحبا، واغفر لمن يسيئون اليك.

غريبوي

أغفر لمن يسيئون الي لا اليك. أنت طيبة ولاتؤذين أحدا.

كارولين

أرجوك، غريبوي، لاتفكر بهذا بعد. دافع عني كيفما تشاء، كما فعلت منـذ لحـظات، ولكن اياك أن تنتقم. ليس في الاديان السماوية كلها مايسمح بالانتقام.

الأم (بهمس الى كارولين)

بنيتي، ماسيكون مصير هذا المسكين بعد رحيلي؟ طالما أنا حية، بعد، مازلنـا نستفيد من ريع الستمئة فرنك، حصتي من نسيبي ليرو عن التبغ الذي سلفته اياه. ولكن أيامي باتت معدودة، وأحس قواي تخور كل يوم أكثر، وبدأ الشلل يتسرب الى يدي كما تسرب الى رجلي، وغالبا مابت أشعر بدوار. هذه المشاجرة الآن هزتني في العمق. وما سيكون مصـيرك بعدي يا صغيرتي، مع غريبوي العاجز عن تأمين مصروفه الخاص. مسكين، ولدي!

كارولين (بعد قبلة على وجنة أمها)

لاتقلقي علي يا أمي. أنا أشتغل وأعيل أخي وهو يساعدني. لن أنقطع من عمـل. ثم، أنت لست بهـذا الانهيـار الصحي الذي تتـوهمين. ستعيشين طويلا بعد. وفي سنوات قليلة، سيصبح أخي عاملا دؤوبا وقادرا.

الأم

أشك ياصغيرتي. سيبقى غريبوي على حاله، وسيسبب لك مشاكل وعوائق.

كارولين

عوائق؟ أبدا. مشاكل؟ ربما لكنني أتكل على الله وأعدك بألا أتخلى عن شقيقي مهما تقلبت الظروف.

الأم

شكرا يابنيتي. ولكن، اذا وجدت أنه يعيق حياتك، اسعي أن تدعيه لدى ناس طيبين أتقياء محبين يحافظون عليه بخوف الله ومشيئته.

كارولين

كوني على ثقة ياأمي: لن اتخلى عنه أبدا.

الأم

أبدا؟ أبد!.. الحمد لله... ولكن... رباه... ماذا دهاني؟ لم أعد... لم أعد أستطيع... آه رأسي... رأسي يدور... جيئوني بالكاهن يصلي علي الصلاة الأخيرة...

كارولين (مرتمية على أمها الفاقدة الوعي)

غريبوي. غريبوي. بسرعة الى الكاهن.

غريبوي (ناهضا بسرعة)

واذا وجدته، ماذا أفعل؟

كارولين

جئ به الى هنا سريعا... قل له ان أمي تحتضر.

خرج غريبوي هارعا الى الكاهن، فوجده يلعب بالشطرنج مع الصيدلي.

الكاهن

غريبوي؟ أهلا. ما الذي جاء بك؟ هل تقصدني لأمر ما؟

غريبوي

نعم. وبسرعة. أمي تحتضر، ويجب أن أذهب واياك الى البيت. هكذا قالت كارولين. نهض الكاهن، أخذ قبعته وعصاه، واصطحب غريبوي صامتا. بلغ الباب فدخل، ووجد كارولين جاثية تصلي عند سرير أمها. تنبهت الى الكاهن، فأومأت له بأن يقترب.

فتحت السيدة تيبو عينيها، وحاولت أن تتكلم، فلم تستطع النطق الا بتمتمات: ابنتي... غريبوي المسكين... الرب الرحيم لن يتخلى عنهما... أنا مائتة... آه ياولدي الحبيبين... تقدم الكاهن وأبعد كارولين وغريبوي، وجثا عند حافة السرير هامسا كلمات للأم، أعادت الى وجهها الهدوء فجمعت يديها وأخذت تصلي، ومعها الكاهن يصلي. كانت تجيب عن صلواته، أحيانا بكلمات متقطعة وأحيانا باشارات، واجدة في ذلك سكينة وعزاء.

بعد دقائق، اراد الكاهن الابتعاد فتوسلت اليه نظرات الأم المريضة بالبقاء فبقي، ونادى كارولين وغريبوي وكانا يبكيان في زاوية الغرفة المجاورة.

الكاهن

امكما، ياولدي، في حالة خطرة. يبدو أن نوبة قوية أصابتها. ماهي تعليمات الطبيب في حالة كهذه؟

كارولين

منذ سنوات لم نراجع الطبيب. فهو منذ أصابتها النوبة الأولى بالشلل الكلي، قال أن لم يعد من أمل بشفائها، ولاداع لاستدعائه عند أي نوبة لاحقة. وليس الا استدعاؤك أنت في حال الخطر الشديد، لتلاوة الصلاة الأخيرة. وهذا مافعلت.

الكاهن

اخشى ياصغيرتي ان يكون الطبيب مصيبا في تشخيصه. لا أتصور ان أي علاج بعد يفيدها. انها، كما دائما، متماسكة هادئة ومستسلمة

الى مشيئة الله وانا وعدتها الآن بألا أتخلى عنكما وبأن اكون سندا لكما في ضائقاتكما بعد رحيلها. أعرف شجاعتك ياكارولين، وتقواك، ولن يتركك الله ولاأخاك، لأن لكما ملْ الايمان بمشيئته.

لم تجب كارولين الا بشهقات بكاء، وارتمت على زند الكاهن.

كان غريبوي يبكي متأثرا بدموع شقيقته لا برحيل أمه التي لم يكن يدرك فداحة وضعها.

مد الكاهن يده الى شعره.

الكاهن

لاتبك يابني. انك تزيد في حزن شقيقتك.

غريبوي

أنا أبكي لبكائها. لو كنت أراها سعيدة لما كنتُ بكيت. ليس عندي سبب آخر للبكاء. ولكن، قل لي، ياأبت، لم نحن نبكي؟

الكاهن

شقيقتك تبكي لأن أمك مريضة بحالة الخطر.

غريبوي

انها في سريرها منذ زمن طويل. فماذا تغير اليوم؟

الكاهن

تحس بأنها قد تموت الليلة، وهذا مايحزن شقيقتك.

غريبوي

ولماذا تحزن؟«أمي تقول دائماً: رباه، لو أستطيع أن اموت. كم أكون أسعد لو أموت. لاأعود أتألم». وهي قالت لي مرارا انها، يوم تموت، ستلاقي وجه ربها والملائكة. أنا أيضا أحب هذا، لو أستطيع أن أموت. فأنا أضجر وحدي حين تكون كارولين غارقة في عملها. وأمي تقول أن لاأضجر أمام الله. قل لكارولين ان تكف عن البكاء. أرجوك. انها تطيعك.

ابتسم الكاهن بحزن، والتفت الى كارولين طالبا منها حبس دموعها، على الاقل (كما همس لها) حتى ينام شقيقها.

تطلعت كارولين الى أمها، وأمسكت بيديها المضمومتين الى صدرها، وتوجهت الى غريبوي تقبل وجهه الهادىء بحنان أخوي.

كارولين

إذاً أنا التي تبكيك؟ أغفر ياحبيبي. لن أكرر ذلك. ها اني هدأت. أنظر الى عيني. أما زلت أبكي؟

غريبوي (بحزن)

كلا. وهذا مايفرحني. لاتمالك عن البكاء حين أراك تبكين، ولا عن الضحك حين اراك تضحكين. هذا الشعور أقوى مني. تأكدي أنني أحبك كثيرا. انك طيبة وحنون.

كارولين

شكرا ياحبيبي. ولكن.. ألم تنتبه الى أن الوقت بات متأخرا؟ أنت مرهق، وعليك أن تنام.

غريبوي

وأنت؟

كارولين

أنا سأحضر لأمي، ثم أذهب الى النوم.

غريبوي

ولن تسهري بعدها؟ ولن تبكي؟

كارولين

لا ياحبيبي. سأنام حتى الخامسة صباحا كالعادة. إذهب أنت، أتل صلاة المساء، ونم. ولاتنس أن تتلو صلاة خاصة لأمي.

ولدى تأكيد شقيقته، ولشدة ماهو مرهق ذاك النهار، لم يعاند، ونفذ ماطلبته منه شقيقته. وماهي دقائق قليلة، حتى كان يغط في نوم عميق.

وفاة السيدة تيبو



حين عادت كارولين الى غرفة أمها، وجدت الكاهن يرفع صلاة لراحة نفسها التي فاضت الى خالقها بعد سنوات طويلة من الصبر والاحتمال والآلام المبرحة. وحين وجدت أمها بدون حياة، انفجرت من صدرها قوية، وانهارت على ركبتيها تاركة دموعها تنهمر بغزارة على خديها.

تركها الكاهن تبكي، ثم بدأت تهدأ، فتقدم منها وأمسك يدها قائلا لها بصوت ممتلىء تقوى:

الكاهن

اشكري الله يابنتي على انه وضع حدا لآلام أمك. واطلبي منه أن يمنحك شجاعة احتمال الوحدة والحرمان. وتذكري أن الله رحوم دائما

معك، واذا امتحنك بالآلام فليمحو آثامك ويكافىء طاعتك واحتمالك واخلاصك.

كارولين

أعرف ياأبت. ولكن أمي ذهبت الى الأبد. وأنا الآن وحيدة.

الكاهن

لا يابنتي، لست وحيدة. عليك واجب بعد مهم اورثته اياك أمك: أنت الدعمن الوحيد لشقيقك. وسيساعدك الله لأن مهمتك صعبة.

كارولين

يبقى لي شقيقي.... صحيح... ليساعدني الله فلا تضعف شجاعتي.

الكاهن

سيساعدك الله. لاتشكي في رحمته. ومهما امتحنك، اشكريه واقبلي تجاربه.

كارولين

سأحاول ياابت. سأحاول. لتكن مشيئتة لامشيئتي.

الكاهن

يابنتي، لايمكن أن تبقي وحدك مع جثمان والدتك. سأعود الى منزلي وأرسل اليك نانون العجوز، بالتكفين والسهر على الموتى. أعود اليك غدا باكرا وأتولى شؤون المأتم. لاتشغلي بالك في أي أمر، واتكلي على الله العلي القدير. الى اللقاء يابنتي، ولتحل نعمة الله عليك وعلى عائلتك وعلى هذا البيت.

فور خروج الكاهن، لم تعد كارولين تتمالك، فانفجرت باكية بكل مافي قلبها من أسى، حتى استفاق غريبوي على شهقاتها بالرغم من الباب المغلق.

نهض قلقا وارتدى ثيابه بسرعة، وشق الباب فرأى شقيقته جاثية والدموع تنهمر على كل وجهها. بادرها: «كارولين» بلهجة لوم وعتب،

فمسحت دموعها بسرعة، لكنها بقيت جاثية.

غريبوي

كارولين... خنت عهدك لي. أنا نمت لأنني صدقتك بأنك لن تبكي.
مابك؟ لم هذا الحزن؟ ماالذي يبكيك؟

أشارت باصبعها الى جثمان أمها، وقالت بصوت مخنوق: «ماتت»
فتقدم غريبوي من السرير وأخذ يتأمل أمه.

غريبوي

لم تعد تتعذب. لن تعود تتألم. أنظري كم وجهها هادىء وساكن.
مرة قالت لي: «يوم أموت سأكون مع الله والملائكة، فوق، في المساء».
صحيح أنها سعيدة. أنظري. كأنها تبتسم. ولكن... كارولين، مابك؟ لم تبكين طالما هي سعيدة؟ ألست مسرورة لأنها سعيدة؟ ألست مسرورة لأنها سعيدة؟

كارولين

آخ، ياحبيبي، فكر بأننا لن نراها بعد اليوم، ولن نسمع صوتها ولن نستطيع أن نخدمها.

غريبوي

بلى: نستطيع أن نصلي لها. هكذا قال الكاهن قبل ايام. لن نسمعها تصرخ وتتألم. ولن نراها تتعذب. هل تفضلين خدمتها مريضة على سعادتها ميتة؟ هذه أنانية. كنت أظنك تحبينها أكثر.

كارولين

لأنني كنت أحبها كثيرا، أبكيها.

غريبوي

غريب أن تحبيها هكذا. تبكين لأن أمي سعيدة بعيدة عنك! تبكين لأنها لاتتعذب أمامك!

كارولين

لا ياغريبوي. ما هكذا. لو مت ولو لأكون سعيدة بلقاء وجه الله. ألن

تبكيني؟

غريبوي (بعد تفكير قصير)

بلى. قليلا. لكنني أفرح لكونك سعيدة، وأفكر في ملاقاتك يوما واتعزى، وأتمنى أن يميتني الله بدوري.

هنا، هدر في الغرفة صوت: «لهذا الولد فطرة أفضل منا يا ابنتي»...

استدارت كارولين وغريبوي في الوقت نفسه، واذا أمامهما نانون العجوز. كانت وصلت قبل لحظات وسمعت الحوار.

نانون

الحق معك يابني. وانما نحزن أن لانعود نرى من نحبهم. تماما كالدواء: علقم في ابتلاعه، وراحة في تناوله. والآن، اذهب الى النوم. لن نحتاجك. ستعيقنا أكثر مما تساعدنا.

غريبوي

وكارولين؟؟

نانون

لا عليك. سأهتم بها.

غريبوي

وتؤاسينها فلا تبكي؟

نانون

طبعا. خاصة بعد الذي كنت تقوله لها.

اطمأن غريبوي الى لهجة نانون وأقوالها، والى استكانة شقيقته، فتقدم وقبلها غير مرة، وصلى ليجعل الله أمه سعيدة. وأضاف:

غريبوي

وأنا كذلك يارب. اجعلني سعيدا، وكذلك كارولين. فنكون كلانا في السعادة ولاتعود كارولين تبكي.

ثم دلف الى سريره وغفا سريعا.

وحين استيقظ صباحا، وبحث عن كارولين، فوجئ بالغرفة ملأى بالناس. كان خبر وفاة السيدة تيبو انتشر، فتقاطرت الجارات: بعضهن مؤاساة، وبعضهن فضولا، وقليل منهن عن محبة. كانت كارولين امضت ليلتها تصلي عند سرير أمها التي جعلت نانون جثمانها في كفن أبيض. ومع الصباح، أخذت كارولين - وكان وجهها شاحبا منهكا وحزينا - تتلقى عبارات التعزية الصادقة والمزيفة، من دون أن تجيب عنها. بعضها كان يصدر بذرابة وعفوية، وبعضها الآخر بتصنع.

إحداهن قالت: «وماذا ستفعلين بشقيقك؟ سيزعجك ويرهقك باعالته. ماذا لو تدخلينه الى مأوى أو ملجأ»؟ فانتفضت كارولين واقفة قرب السرير:

كارولين

أبدا. وعدت أمي بألا أتخلى لحظة عن أخي. ولن أخلف بوعدي.

نانون

هذا وفاء عظيم يابنتي. ولكن كيف تعيلينه؟ كيف تعيشين واياه من دخلك الزهيد؟

كارولين

الله يراني ويرعاني. وأمي تصلي لي من عليائها.

امرأة

انها عنيدة. سنرى كيف قريبا سترتبك بأمر عيشها.

صوت أمرأة أخرى:

قد تعيله من مصدر آخر غير عملها.

التفتت كارولين وغريبوي الى مصدر الصوت الخبيث اللسان. فاذا هو صوت الآنسة روز. تقدم منها غريبوي:

غريبوي

ولماذا لن يكفيها دخلها من عملها وحده؟

روز

اسأل السيدة ديلمي يابني، وهي تفيدك.

أشاحت كارولين عن الاصغاء. عادت جاثية عند سرير أمها، بينما غريبوي - الذي أثارته عبارات الآنسة روز - حدق مليا في وجهها المزيف الخبيث، ثم استدار نحو الباب وخرج. ركض الى منزل السيدة ديلمي طالبا مقابلتها، فأدخلته غرفتها.

السيدة ديلمي

وماذا تريد مني يابني؟

غريبوي

جئت أسألك أن تفيديني: لماذا شقيقتي لن يكفيها دخلها من عملها وحده؟

السيدة ديلمي

نعم؟ ماذا تقصد؟ ومم تريد شقيقتك أن تكتفي؟ ولماذا جئت تسألني أنا هذا السؤال؟

غريبوي

الآنسة روز قالت لي أن أسألك هذا السؤال. والا لما جئت أزعجك به.

السيدة ديلمي

الآنسة روز؟ هذه مزحة ثقيلة. أين روز؟ كيف رأيتها؟

غريبوي

عندنا في البيت، سيدتي. مع جميع نساء الحي.

السيدة ديلمي

وما مناسبة هذا الاجتماع عندكم لنساء الحي؟

غريبوي

جئن يشاهدن ما تفعله كارولين وتقوله قرب جثمان أمي.

السيدة ديلمي (مذهولة)

جثمان؟ هل تكون أمك... توفيت؟

غريبوي

نعم سيدتي. في الليل.

السيدة ديلمي (بالذهول نفسه)

وانت؟ ألست حزينا على وفاة والدتك؟

غريبوي

بلى سيدتي. لكنني سعيد من أجلها.

السيدة ديلمي (بنقمة)

هذا مخزٍ ياابني. أمك التي كانت تحبك بذاك الجنون، ألم تكن تحبها؟

غريبوي

عفوا سيدتي: لأنني أحبها، أنا سعيد أن لا أعود أراها تتعذب.

السيدة ديلمي

ولكنك لن تعود تراها بعد اليوم أبدا.

غريبوي

عفـوا سيدتي. بلى سأراها في العالم الآخر. هناك ـ كما شرح لي الكاهن ـ أراها بعد الموت فلا نعود نفترق، ونكون سعيدين ولانتعذب

أبدا. ولا أظنك، سيدتي، تجدينني عاقا وجاحدا بالفضل اذا أسفت على أن أمي الآن سعيدة، وأريد أن الاقيها سريعا.

السيدة ديلمي (بعد تفكير)

أيها المسكين، قد تكون على حق. وكارولين، ماذا تفعل الآن؟

غريبوي (ببعض ارتباك وتردد)

يؤسفني أن أخبـرك بأنهـا... تبكي. لا يجب أن نلومها. قد لاتكون متأكدة من أن أمي سعيدة. وربما تعتقدين بأنها، اذ تعمل كثيرا، لا وقت لديها مثلي للتفكير. ثم لاأفهم ماذا تهمسه لها تلك النسوة عندنا

الآن فتبكي. وخصوصا الآنسة روز التي تثيرها بكلامها الجارح وتقهرها. تذكرت: اني هرعت اليك انتصارا لكارولين. فالآنسة روز تخافني: تعرف انني لا أرتدع عن صفعها اذا هي ضايقت شقيقتي.

السيدة ديلمي

مهلا غريبوي، سأرافقك. لم أكن أعلم أن والدتك المسكينة توفيت.

وتوجهت السيدة ديلمي مع غريبوي الى المنزل، حيث رأت روز تثرثر وسط النسوة. اقتربت منها وسألتها عما تفعله هنا عوض أن تكون في السوق لشراء الحاجات.

روز

جئت، سيدتي، أقدم التعزية لكارولين في مصيبتها.

نانون (بسخط)

لكن تعزيتك قهرتها بكلامك الخبيث اللئيم، وتهديدك اياها أن تفسدي عليها عملها.

روز

أنا؟ كيف؟ ربما أسأتن فهمي.. غير معقول أن...

نانون

بل معقول. وأنت قلت ذلك. ومازلت ترددينه، ولم يكف لسانك عن الدوران. فكيف يمكنك أيتها القاسية أن تلحقي الأذى بهذه الفتاة المسكينة التقية؟؟

روز

آمل الا تتأثر سيدتي بكلام هذه العجوز.

نانون

العجوز هي أنت أيتها الأفعى التي تنفث سمها على الأخريات. وتنكرين أيضا؟

السيدة ديلمي

سيدة نانون، كفى، أرجوك. تتشاجران في غرفة الميتة؟ هذا مرعب

لكارولين المسكينة. وأنت، روز، أخرجي من هنا ولاتعودي أبدا الى هذا المكان.

روز

احترمك سيدتي، فلا أعصي أوامرك. وأنا أساسا، لارغبة لي في المجئ الى هنا بعد اليوم، حتى لا أرى هذا الأبله وأكفكف دموع شقيقته.

لدى سماع هذه الكلمات، هم غريبوي بالهجوم على روز، فأمسكت به كارولين متوسلة: «لاياغريبوي، لاياحبيبي»، فانتفضت السيدة ديلمي وصرخت بروز: «أخرجي فورا» ممسكة بها من ذراعها، ودافعة صوب الباب، فخرجت هذه بدون تعليق خوفا من سيدتها.

السيدة ديلمي (آخذة بيدي كارولين)

أنا آسفة لكل ماحصل ياعزيزي. سأعرف كيف أؤدبها عند عودتي. واذا تكرر هذا، سأطردها فورا.

كارولين

أبدا سيدتي. بل أرجوك أن تسامحيها. انها منفعلة من مشادة جرت أمس بينها وبين غريبوي. أما هي، فطيبة القلب. وكذلك أرجوك ياسيدتي ألا تقطعي عني ارسال ثيابك وثياب أولادك، والا أمسيت عاطلة عن العمل وبلا مدخول.

السيدة ديلمي

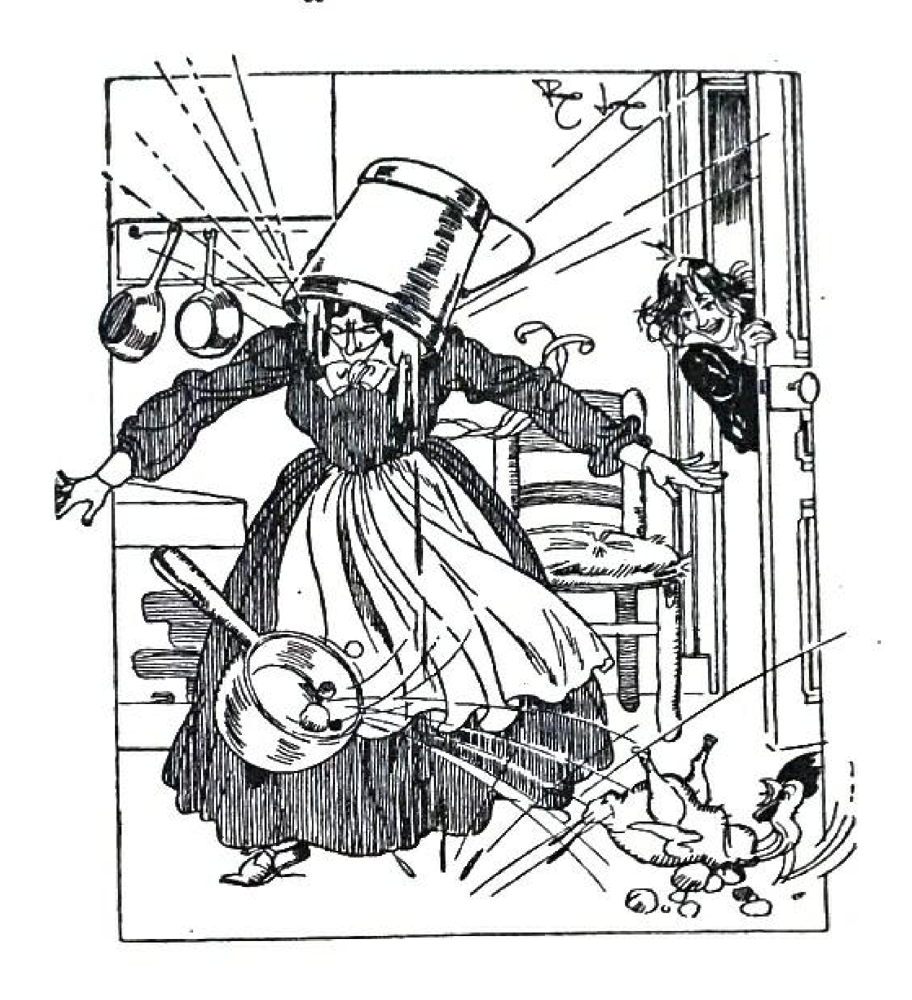
طبعا ياعزيزتي. أمس اشتريت ثيابا صيفية، وسأرسلها اليك فورا.

كارولين (باكية من التأثر)

سأبدأ بها فور انتهاء مراسم الجنازة. وسأعتني بها كالعادة كثيرا. تأكدي. وهنا دخل الكاهن. جثا لحظات عند السرير. وعندما نهض، تقدم من السيدة ديلمي ورجاها مواصلة الاهتمام بكارولين وغريبوي.

طلبت السيدة ديلمي من كارولين أن تأتي معها، فرفضت، مفضلة البقاء بقرب جثمان أمها، حتى خروجه من البيت نهائيا.

طاعة غريبوي



تفرق الجمع، وأقفلت كارولين بابها تفاديا لزيارات فضولية مفاجئة استبقت نانون لتساعدها، مع غريبوي، على اعادة ترتيب البيت.

بعد ليلة مضنية من السهر على جثمان الوالدة، كانت مضنية مراسم الجنازة، على كارولين وغريبوي. وحين دخلا منزلهما المقفر، بكت كارولين بأسى ومرارة مقهورة، وبكى معها غريبوي، ثم عاد يرفع معنوياتها بكلام لها أمس:

غريبوي

عندنا عمل كثير: الغسيل، ترتيب ثياب أمي وأغراضها، ثم... ثياب

السيدة ديلمي

كارولين

الحق معك. لايجب ان استسلم لهذا الانهيار. يجب أن اتمسك بالشجاعة، وسأقوى بعون الله.

غريبوي

وأنا أيضا تلزمني الشجاعة ومعرفة القيام بأي عمل طارىء.

كارولين (باسمة)

أي عمل؟ ماذا تعني بـ«أي عمل»؟ وماذا عليك أن تفعل؟

غريبوي

انجاز الغسيل، التحطيب، الزراعة، الري، الاعتناء بالحديقة، تنظيف المنزل، جلب المياه، شراء الحاجات، اصلاح الأثاث، الجلي. بالأمس، كنت أنت تفعلين كل هذا معي. ولكن، بعد اليوم، وبعد انقطاع مدخول الستمئة فرنك عنا، علينا ايجاد بديل آخر لهذا المدخول، سيكون من عملك أنت، وأنا أساعدك بألا أدعك تتلهين بمهمات تعيقك عن مواصلة عملك.

كارولين

غريبوي، أيها الطيب، ستكون لي مفيداً جدا بأفكارك الجيدة.

غريبوي (محمرا من الفرح)

صحيح؟ سأكون لك مفيدا؟ هذا يفرحني كثيرا. كل ما أطلبه منك أن تقولي لي كل صباح ماذا علي أن أفعل، وسأنفذه. وسترين بأية دقة سأنفذ أوامرك.

وأنصرف غريبوي بعدها مباشرة الى العمل. انتزع المكنسة من مكانها وأخذ ينظف البيت المتروك منذ يومين بدون تنظيف. وملأ الأباريق ماء، ومن الحديقة قطف الخضر الضرورية لحساء المساء، غسلها وقشرها ووضعها نظيفة قرب القدر. ثم وضع الصحون اللازمة

للطعام.

في هذا الوقت، كانت كارولين ترتب أغراض أمها، وتضع جانبا منها مايجب

غسله وإصلاحه. وانتهى هكذا نهار طويل حزين انما غير مضجر. كان لتعبه أن يؤدي بهما الى نوم عميق.

حين استيقـظت كارولين صبـاح اليوم التالي، كانت الساعة تدق السابعة. اضطربت الفتاة لهذا النوم الطويل، فنزلت من سريرها وتلت صلاة الصباح وارتدت ملابسها وأيقظت شقيقها وكان ينام عميقا.

كارولين (بعدما قبلته)

غريبوي، انهض ياحبيبي، تأخرنا كثيرا. هلم الى العمل.

فرك غريبـوي عينيه، جلس لحظات، ثم عاد ونام. تأملته كارولين بحنان، وتمتمت: «مسكين.. هل ادعه ينام بعد؟ هل أوقظه؟ انه مرهق وطري العـود. هل أجعله يعتـاد على مغالبة النوم والتعب، أم أتركه لراحته التي يحتاجها اليوم كثيرا؟ مالعمل؟ أماه، أرشديني».

وفيما كانت كارولين تمد اليه يدها ثم تسحبها مخافة ايقاظه، تململ غريبوي وفتح عينيه متمتما: «دعيني. أريد أن أنام». فقبلته على جبينه قائلة: «نم ياحبيبي، ريثما أذهب الى الصلاة، فأتضرع لله ولنا ولأمي».

وحين عادت، كان غريبوي استيقظ، فأخذت تهيئ الفطور البسيط فيما هو يرتدي ثيابه.

كارولين

هل صليت كما كنت تصلي على حياة أمي، الصلاة نفسها؟

غريبوي

كلا، نسيت ذلك.

كارولين

تعال. ولنصلها معا عند سرير أمنا الفارغ، كما كنا نفعل وهي ممدة

فيه.

غريبوي

ولماذا عند سريرها طالما هي لم تعد فيه ولم تعد تسمعنا.

كارولين

احتراما لذكراها. هي ليست هنا لكن روحها بيننا. انها تسمعنا وترانا، وتصلي معنا ومن أجلنا.

غريبوي

وكيف تكون روحها بيننا ولا أراها؟

كارولين

وهل أنت ترى الهواء؟ هل ترى أفكارك؟

غريبوي

كلا

كارولين

ومع ذلك، الهواء ينسم وتشعر به، والأفكار تدور وتشعر بها. هكذا روح أمنا. لا نراها، ومع ذلك هي موجودة وترعانا.

غريبوي (متطلعا بشقيقته مستغربا)

غريب... مع انني، عادة، افهمك، لا أفهم ماتقولين الآن. لكنني أحس بأنك على حق. جثا غريبوي بجانب شقيقته. وفيما هو يصلي معها، كان قلقا ومتلفتا حوله عند أقل حركة، حتى انتهت الصلاة.

كارولين

والآن، الى الفطور. تأخرنا. كان يجب أن أبدأ عملي منذ ساعتين.

غريبوي

وأنا، ماذا يجب أن أفعل؟

كارولين

خذ رزمة الثياب من العلية، الى المغسل، وسأوافيك فور أطلاعي على

ثياب السيدة ديلمي لأعرف ماتحتاجه.

هرع غريبوي الى العلية، أخذ الرزمة وحملها الى المغسل. جلس منتظراً بصبر في البدء ثم شعر بالضجر بعد مضي ساعة. وفكر: ماأزهق ان تجعلني كارولين أهدر وقتي بهذا الشكل. مضجر الا أعمل شيئا. لكنت أذهب اليها سائلا عملا أقوم به، لكنها قالت انها ستوافيني. اذن يجب ألا اغادر.

انتظر ساعة أخرى، بلغ في نهايتها البكاء، وجهه بين يديه، ومرتكز على ركبتيه. فجأة، مسته قشعريرة الفرح حين سمع صوت شقيقته.

كارولين

غريبوي؟؟ هل أنجزت عملك؟ وهل تحتاجني في مساعدة؟ هيأت الأثواب وسأنصرف الآن الى خياطتها. ولكن... مابك؟ كنت تبكي؟ ومازلت؟

غريبوي (باكيا)

أشعر بالضجر.

كارولين

ولم لم تعد فور انتهائك؟ لم أظن أنك ستحتاج الى أكثر من ساعتين.

غريبوي

قلت لي انك ستوافينني فأطعمك ولم اتحرك من هنا.

كارولين

ياحبيبي أنت. أسأت فهمي.

غريبوي

أبدا. فهمت بكل وضوح. قلت لي: «سأوافيك».

كارولين (بحزن)

بل انا أسأت الايضاح. نسيت أنك... أنك... مطلق الطاعة.

غريبوي

قلت لي: «خذ رزمة الثياب الوسخة من العلية الى المغسل». ففعلت.

كارولين

ولم تغسلها؟

غريبوي

كلا . لم تطلبي مني ذلك. أنا أطعتك حرفيا بما طلبته مني . ولم أزد عليه .

كارولين

صحيح. أطعتني حرفيا. حرفيا جدا. أيضا وأيضا أنا أخطأت في الطلب. الحق معك. كان علي أن اشرح لك أوضح.

غريبوي

هل كنت تتصورين...

كارولين (مبتسمة)

... أن أرى الثياب مغسولة. نعم. ولكنني، عقابا لي على سوء افهامك، سأساعدك على ذلك وسنسرع كلانا في انهاء الغسيل.

غريبوي

والثياب التي تنتظرك؟

كارولين

أستلحقها في مابعد. الليلة الماضية نمت كثيرا. أسهر هذا المساء أكثر، فأعوض التأخير.

غريبوي

كلا كارولين. واضح أنها غلطتي ولو لم تقوليها. وأنا سأعوض ذلك. عودي الى عملك وسأقوم بالغسيل وحدي ولن أعود الا بعد الفراغ منه كليا.

كارولين

لن تفرغ منه قبل حلول الليل.

غريبوي

ما هم. أعرف ما كان من غسيل على ايام أمي. كنت أغسل أكثر من

هذه الكمية في النهار الواحد.

كارولين

في النهار الواحد. ولكن لم يبق أمامك الآن الا نصف نهار فقط.

غريبوي

سأعوض. وسترين.

وعمد غريبوي الى الرزمة ففكها. ثم نزع قميصه ورفع كميه ووضع شرشفا وسخا تحت ركبتيه وأخذ يغسل ويفرك بحيوية جعلت كارولين ترضى بأن تتركه يعمل وحده، واعدة اياه بالعودة بعد ساعتين حاملة اليه الطعام.

وبالفعل، عادت في الواحدة بعد الظهر، فالتقته حاملا الرزمة، عائدا الى المنزل، بالثياب المبللة البيضاء والمغسولة جيدا والجاهزة للنشر كي تنشف.

كان غريبوي محمرا يتصبب عرقا لكنه مسرور وسعيد. نوهت كارولين بنشاطه وقبلته ماسحة جبينه وشعره الندي.

جلسا الى المائدة، وخلدا بعدها ساعةً الى الراحة والمحادثة.

ثم نهض غريبوي الى حراثة الحديقة، وانصرفت كارولين الى خياطة ثياب السيدة ديلمي.



انتقام روز

في نهـايــة الأسبــوع، انهت كارولين عملهـا. وتوجهت ـ يرافقها غريبوي حاملا لها الرزمة ـ الى منزل السيدة ديلمي. أول وجه صادفاه كان وجه الآنسة روز، التي وجهت اليهما الكلام بلهجة قاسية جافة:

روز

نعم؟ ماذا تريدان؟ السيدة ديلمي لم تعد تتعهد فقراء جداً. يكفيها ماعندها .

كارولين (بتهذيب جم)

ماجئنا نطلب الصدقة ياآنسة روز. شقيقي يساعدني في حمل الثياب

التي كلفتني السيدة ديلمي بخياطتها. فلتسمحي بالتفضل وإعلامها بأنني هنا وأود قياسها عليها لأرى اذا باتت كما تريدها.

روز (بنزق)

دعيها هنا. سنرى ذلك بدونك. السيدة ديلمي مشغولة.

كارولين

ومتى، آنستي، يمكن أن أعود للقبض؟

روز

تبدين مستعجلة. أليس لديها إلاك يأتي للقبض؟

كارولين

عفواً، ولكن بعد وفاة والدتي، ترتبت علي مصاريف الدفن التي التهمت كل ما كنت اقتصدته.

روز

هذا مايسببه الصلف والتعجرف. أرادت الآنسة كارولين ان تتصرف كالأغنياء، فاصرت على تنوير الكنيسة والجنازة الاحتفالية كمآتم كبار القوم، فيما هي لاتملك رغيفا، وتركض تستجدي أسيادها ولا تترك لهم فرصة على صلاح عملها.

لم تجب كارولين. نادت شقيقها وفتحت الباب بسرعة وركضت، ظناً منها أن شقيقها يتبعها. لكن هذا، إذ أثارته لهجة روز، لاحظ الاهانة على وجه شقيقته، وعوض أن يتبعها، تناول دلواً مليئا بالمياه الوسخة، والبسه راس روز فيما هذه تدير ظهرها باهانة. فانهالت عليها المياه الوسخة من رأسها حتى قدميها. ثم فتح باب المطبخ وراح يلاقي شقيقته مهرولا.

فوجئت روز بما حدث، فذهلت لحظات، استعادت بعدها رشدها والتفتت حولها وهي في قمة الغضب والثورة، فلم تجد أحدا. هرعت الى الباب تفتحه، فلم تجد كذلك أحدا. اعتقدت أن خصمها أختبأ في

المنزل، فأخذت تفتش في كل مكان، من غرفة الى غرفة حتى بلغت الصالون، وكان فيه السيد ديلمي وزوجته وأصدقاء. فهبوا واقفين مذهولين لدى رؤية روز ملهوفة، منبوشة الشعر، تسقسق المياه من وجهها وشعرها وكل ثيابها، وسألوها بصوت واحد: مابك؟ ماذا جرى لك؟

روز

الغادر! الوغد! أبحث عن هذا اللئيم الذي أفرغ دلو الماء الوسخ في رأسي. أين هو؟ هل رأيتموه؟ هل مر من هنا؟ الى أين ذهب؟ بحثت عنه في جميع الغرف.

السيد ديلمي

هل جننت ياروز؟ كيف صرت على هذه الحالة؟ عن أي غادر تتحدثين؟

روز

الذي رشني بدلو الماء. اذا وجدته سأطحن أسنانه. سأرشه بقدر ماء يغلي.

السيد ديلمي

أخرسي. يكفي. اخرجي وبدلي ملابسك، فأنت توسخين لي الأثاث وأرض البيت.

بدأت روز تهدأ، أمام صدمة سيدها وردة فعله، اذ اكتشفت انه منزعج من طريقة دخولها ومداخلاتها التي لم تحسن شرحها. فانسحبت تبدل ملابسها وهي مغتاظة لجهلها الشخص الذي تصرف معها هكذا. شكت بغريبوي لحظة، لكنها لم تره حولها. وهي تعرفه ساذجا ولم يفهم ماقالته لشقيقته، فظنته غادر معها، ولم تعتقد أن يكون من الوقاحة بحيث ينتقم بهذا الشكل الذكي والبارع. شكت أن يكون أحد تسلل الى المطبخ في إثر كارولين، واختبأ في إحدى الغرف أو ربما في المطبخ وتمكن من الهرب فيما كانت تركض من غرفة الى غرفة.

وصبت كل غضبها على المسكينة كارولين. وصممت على الثأر. فعمدت الى ثياب السيدة ديلمي تفسد تفصيلاتها وخياطتها حتى غدت ضيقة وغير صالحة للارتداء.

في اليوم التالي، سألتها ديلمي عن حادثة الأمس، فشرحتها لها الآنسة روز بهدوء. ابتسمت السيدة وهدأت من غضب خادمتها، وسألتها اذا كانت كارولين حملت اليها ثيابها.

روز

الآن أوصلتها ياسيدتي وسأحملها اليك فورا.

السيدة ديلمي

جيئيني بها. أريد أن أقيسها. مع أن كارولين تخيطها على القياس تماماً فتجيئ كما أريدها.

روز (مبتسمة بخبث)

آ... من هذه الناحية، الحق معك. انها مواظبة ودقيقة.

وحملت روز الثياب، فقاست السيدة ديلمي واحداً منها، وفوجئت بأنه ذو كمين ضيقين وفتحتين لهما غير منفرجتين كفاية.

السيدة ديلمي

ما هذا ياروز؟ لايمكنني إدخال ذراعي في الكم.

روز

صحيح؟ ربما من القماش. لو تشدين قليلا به بعد.

السيدة ديلمي

شددت فلم أفلح. أخشى، ان شددت أكثر، أن أمزق الثوب.

هنا الرسم ص ٤٧ في الاصل

روز

صحيح... ولكن... كيف حدث ذلك؟ كيف تسلمك إياه كارولين غير صالح، هي التي تعرف قياسك؟

السيدة ديلمي

هاتي لي ثوباً آخر اجربه. آمل ان يكون افضل.

روز

وأنا آمل مثلك. فلا يمكن أن تخطئ كارولين قياس ثوبين.

وقاست السيدة ديلمي ثوبا آخر.

السيدة ديلمي

يبدو كماه مناسبين. ولكن... لم هذا الصدار لايطبق من الأمام؟ لا أستطيع تزريره.

روز

وهل من المعقول أن تكون كارولين نسيت قياساتك؟ ألم تكن هي التي كانت تفصلها من قبل؟

السيدة ديلمي

بلى. ومن غيرها اذن؟

روز

قيل لي مرة إن أمها هي التي كانت تقوم بالخياطة والتفصيل، ولم تكن كارولين تقوم الا بجمع الثوب في حالته الأخيرة. لم أصدق ذلك يومئذ، ولكن يبدو الآن أن... هذا الكلام صحيح.

السيدة ديلمي

ولم لم تلفتيني الى ذلك في حينه؟ ماكنت أعطيتها، بعد وفاة أمها، الا ثوباً واحدا أجربها به. أما الآن فيبدو لي أن جميع القطع الباقية ليست صالحة للارتداء. الحق عليك يا روز. هذا تصرف خبيث.

روز

ولكن، سيدتي، كلام كثير يقال وما كل مايقال صحيح، والا لكانت إشاعات كثيرة كاذبة سببت الأذى لو هي صدقت. صحيح أنني لاأحب غريبوي لأنه سمج ومزعج، لكنني لا أكره كارولين ولايمكن أن أستغل

وفاة أمها لأقوم بما يقطع عنها مورد عيشها. فأنت تحتضنينها بحنان وتسلمينها كل ثيابك.

السيدة ديلمي

ولهذا أفسدت لي ثوبين؟

روز

قد يكون الباقي الذي عندها بعد، صالحاً،

السيدة ديلمي

وهذه؟ ماذا أصنع بها وهي بهذا الضيق؟

روز

مازال عندك قماش باقياً. يمكننا خياطة صُدار آخر وكمين آخرين.

السيدة ديلمي (بغضب)

وشراء ثياب جديدة أيضا. اخرسي. تزهقينني بدفاعك عن غبية غشتني بأنها تتقن صنعتها فيما أمها هي التي كانت تقوم بالتفصيل الدقيق والخياطة الصعبة. اذهبي وجيئيني بكارولين.

وهرعت روز الى كارولين تستدعيها: «سيدتي تطلبك». ففكرت كارولين: «ربما لتدفع لي». ونهضت بدون أي تعليق فبادرتها روز:«هل فقدت لسانك»؟ لكن كارولين تطلعت اليها بحزن ونبل وأجابتها بنعومة: «ماقلته لي لايتطلب جوابا يا آنسة».

لم تعلق روز، وشعرت بندم أمام هدوء كارولين ورصانتها، كما شعرت بالخوف أمام نظرات غريبوي الغاضبة.

خرجت كارولين فلحقت بها روز على بعض مسافة، كي لاتشهد الاحتدام بينها وبين سيدتها.

كارولين (داخلة)

ها انا جئت سيدتي بناء على استدعائك.

السيدة ديلمي (بغضب مكتوم)
نعم يا آنسة. استدعيتك. احزري لماذا؟
كارولين
ربما لتدفعي لي أجرتي، سيدتي، كما توسلت الى الآنسة روز أن تبلغك. قد أكون تجاسرت جداً على طلب ذلك من سيدتي، لكن وفاة والدتي رتبت علي مصروفا اضافيا جعل مدخراتي تنفد. وانني سيدتي أتكل على فضلك وكرمك.
السيدة ديلمي
تتكلين علي وأنت تتصرفين كابنة عاقة وغير صادقة. ومن حقك المجيء والمطالبة بأتعابك ولكن من حقي أن أحجب عنك ماتطلبين. خذي. هي ذي الستون فرنكا على مانفذته لي قبل هذين الثوبين الأخيرين اللذين لن أدفع لك أجرتهما لأنني لن أرتديهما. وجيئيني بما يتبقى لي عندك من ثياب.

كانت كارولين تصغي الى السيدة ديلمي بدهشة متزايدة. بقيت صامتة، وهي تفكر بايجاد سبب لتصرف السيدة ديلمي. كانت الفرنكات الستون مكومة على الطاولة فلم تبد أية حركة لتناولها أو للتعليق. حدقت فيها السيدة ديلمي وتأثرت لأمارات الحزن على وجه الفتاة المسكينة المغلوب على أمرها. فبادرتها بلهجة أقل قسوة:
السيدة ديلمي
خذي نقودك. لم أقل إنني لن ادفع لك بدلا عن اشتغالك على الأثواب الاربعة الأخيرة، وانما عليك أن تعيدي إصلاحها لأنني لم أتمكن من ارتدائها كما سويتها لي. تكلمي. لماذا أنت صامتة هكذا كتمثال؟
كارولين
عفواً سيدتي، الحقيقة أنني... مستغربة... ولا أفهم اتهاماتك... فبم أسأت اليك؟

السيدة ديلمي

اوهمتني بما لست فيه، ومازلت مستمرة في تلقي ثيابي وخياطتها حتى بعد وفاة والدتك.

كارولين

ولكن، سيدتي، انت أرسلت لي هذه الثياب. وبعد وفاة والدتي بت اكثر حاجة الى أن أعمل. ولا افهم بما تتهمينني.

السيدة ديلمي (بانفعال غاضب)

أتهمك بأنكِ أفسدتِ لي ثيابي، وبأنكِ أخفيتِ عني حقيقةَ أن أمكِ هي التي كانت تخيطها وتفصلها، ولم تكوني أنتِ تقومين الا بعملية الجمع الاخير، في حالة الثوب النهائية.

كارولين

هكذا قيل لكِ ياسيدتي؟ وصدقتِه؟ منذ ثلاث سنوات أخيط لك ثيابك وأنت تعرفين. لن أسألكِ عن مصدر هذه النميمة. عرفتُه. وكل ما عندي أقوله لك إن أمي لم تمس يوما قطعة واحدة من الثياب ولا كانت قدرةً لها على إمساك مقص. والثياب التي كنتِ تتسلمينها مني، عملت عليها وحدي. وتأكدي أنني لن أطالبك بالنقود التي تحجبينها عني. سأغادركِ الآن مودعة، ولن أعود الى هذا البيت مطلقاً. وإنني أشكركِ كل فضلكِ علي وعلى أمي.

وهنا، انتقل الاستغراب الى السيدة ديلمي من هدوء كلام كارولين ونبلها وشهامتها وصدقها، فحاولت استبقاءها، لكن كارولين كانت استدارت وسلكت طريق الرجوع.

توضيحات



في طريق العودة، التقت كارولين بالآنسة روز، التي حيتها بخبث. فمرت كارولين ولم تلتفت اليها، بل دخلت وأقفلت وراءها الباب وارتمت جاثية عند سرير أمها الفارغ، منفجرة بالبكاء، مما أذهل غريبوي:

غريبوي (محاولا إنهاضها)

كارولين.. لم تبكين بهذا الشكل؟

كارولين (مرتعشة)

أنتَ هنا؟ ظننت أنني وحدي.

غريبوي

مابكِ؟ مالذي يقهركِ؟

كارولين

تفكير السيدة ديلمي بأنني أكذب عليها وأنني أفسدت لها أثوابها وأن أمي هي التي كانت تخيطها لا أنا، ولهذا لن تدفع لي أجرتي عن كل عمل الاسبوع الماضي، ولن ترسل لي أثوابا بعد اليوم أخيطها.

غريبوي

ولهذا تبكين؟ تعرفين جيدا أن كل هذا خطأ ومدسوس.

كارولين

وأعرف أيضا ألم الاهانة عند الاتهام بالخيانة فيما أنا بريئة.

غريبوي

صحيح؟؟ غريب! أنا لايؤثر بي هذا الكلام. حين قيل لي يوما: «غريبوي، أنت سرقت التفاحات»،ضحكت وأجبت: «لم أسرق أية تفاحة. اذهبوا وفتشوا عن السارق». ولو قالت لي السيدة ديلمي: «غريبوي، أسأت حراثة حديقتي فلم يعد ينبت فيها بقل»، لأجبت بدون أي ارتباك:«سيدتي، أنا أحسنت حراثة حديقتك. واذا كان البقل لم ينبت فيها، فراجعي الآنسة روز لأنها تكون قامت بعمل شرير ومؤذٍ». واذا قالت لي: «أنت عاق وغير وفي»، أجيبها بهدوء: «سيدتي انت مخطئة لأنني وفي وصادق، ويجب أن تخجلي من أفكارك السوداء حيالي».كارولين، ياعزيزتي، اذا شئت، أذهب الآن الى السيدة ديلمي وأقول لها إنك صادقة وشريفة وتعملين بضمير وإتقان، وانك لم تفسدي لها أثوابها وانها هي السارقة لأنها لم تدفع لك أجرتك وانك غير آبهة اذا ارسلت لك أثوابها بعد اليوم أم لم ترسلها. موافقة؟ أذهب فورا؟؟

كارولين

لايا غريبوي، ارجوك، لاتقل لها شيئا. فلتحفظ نقودها. لدي مصادر أخرى للعمل. لن أعدم ذلك. بدأت عروض كثيرة تتقاطر علي. عندي، بعد، ثياب زوجة المعاون المدرسة وزبونات أخريات.

غريبوي

ولن تتوقفي عن البكاء؟

كارولين.

بلى. أعدك. وسأنصرف الى عملي.

غريبوي

علينـا أن نفـرح بكـل مايأتينا من الله. هذه مشيئته. هكذا قال لي الكاهن. أنا مثلا أشعر أنني سعيد.

كارولين (مبتسمة)

إلا حين تضجر من البقاء طويلا مع الغسيل.

غريبوي (ضاحكا)

آ... صحيح يومها ضجرت وكنت مغفلا. ولكن، منذ ذاك اليوم، تأكدي أنني أفكر باستمرار كيف يجب ألا أضيع وقتي.

هنا سمعا طرقاً على الباب.

كارولين

من؟ أدخل. هه: هذا توماس.

توماس

عفـوا آنسة كارولين.. أرسلتني السيدة غريبو زوجة المعاون لأحمل اليها من عندك أثوابها.

كارولين

ولكنني لم أبدأ بها بعد ياتوماس. سأعمل عليها فورا.

توماس

كلا. كلا. السيدة تريدها قماشا. هي تعرف أنك لم تخيطيها بعد.

كارولين

وليست تريدني أن أخيطها؟

توماس

كلا.

كارولين

وكيف عرفت أن كلا.

توماس

لاعرف. كنت ماراً قرب منزل العمدة ديلمي، فأطلت السيدة غريبو من نافذته ونادتني. اقتربت. قالت لي: «توماس، اذهب بسرعة عند كارولين واطلب منها أثوابي، ولتعطك اياها جاهزة كانت أم غير جاهزة، ومعها جميع قطع القماش العائدة لها. عسى ألا تكون بدأت بخياطتها بعد».

كارولين

والسيدة ديلمي كانت معها؟

توماس

كلا. لم أر الا الآنسة روز التي كانت تضحك، تضحك طويلا حتى تملكني الضحك أنا أيضا وركضت الى هنا وأنا مازلت أضحك.

كارولين

حسناً، توماس. غريبوي: إحمل الي من الخزانة قطع القماش، لفها بورقة رمادية على ظهر الخزانة وأعطها لتوماس. انتبه أن تخطئ.

هرع غريبوي الى تنفيذ أمر شقيتته، فأخذ قطع قماش، تفحصها جيدا، ثم لفها بورقة رمادية وأعطاها لتوماس الذي حملها:

توماس

الى اللقاء آنسة كارولين. مساء الخير غريبوي.

وفكرت كارولين: أذية أخرى من الآنسة روز. عسى الا تجعلني أخسر جميع زبوناتي. وبعد لحظات من التفكير بحزن وانكسار، فكرت كارولين بأعمال أخرى مكدسة لديها، عليها إنجازها. ثم توجهت الى الخزانة ففوجئت برزمة قماش السيدة غريبو مازالت في مكانها.

كارولين (بهلع)

غريبوي.. غريبوي.. ماذا أعطيت توماس؟ رزمة السيدة غريبو مازالت هنا.

غريبوي

أعطيته قطع القماش التي قلت لي عنها.

كارولين

أي قطع القماش؟ هاهي ماتزال هنا.

غريبوي

ماهذه هي التي أعطيته اياها. هذه جديدة. أنا أعطيته تلك القديمة البالية التي صررتها قبل أيام وقلت انها لم تعد صالحة للاستعمال.

كارولين

رباه... ما الذي فعلته ياأخي؟ ستظن السيدة الآن أنني سرقت قطعها الجديدة. أركض ياحبيبي، بسرعة، إلحق بتوماس وعد به. قل له انك أخطأت وان القطع المطلوبة ما زالت هنا. اركض.

غريبوي

حالاً. كل مرة هكذا: تطلبين مني أمرا وتقصدين آخر. ثم يقال عني أنا إني ساذج. وراح يفكر بهذا، طول الطريق. سوى أنه، على رغم ركضه وسرعته، كان توماس أسرع منه فوصل قبله وسلم الرزمة الى السيدة غريبو التي أطلقت صرخة استهجان لدى فتحها الرزمة. ثم وضعت أمام السيدة ديلمي ثلاثة أثواب بالية خرقة.

السيدة غريبو (صارخة)

تفضلي: هذا ماأرسلته الي عوض قطع قماشي الجديدة.

السيدة ديلمي

هذا مُخزٍ. يجب توقيفها فورا. أيها العمدة... أيها العمدة... تعال فورا.

السيد ديلمي (خارجا من مكتبه)

ما الأمر؟

السيدة غريبو

يجب توقيف كارولين تيبو فورا بتهمة السرقة: سرقت مني قطعتي قماش جديدتين كنت أرسلتهما اليها لتخيطهما، وهذا ماترسله إلي عوضا عنهما.

السيد ديلمي

مستحيل! في الأمر خطة مدبرة.

السيدة غريبو

أية خطة وأي تدبير؟ أرسلت أطلب منها قماشي وهذا ماترسله الي.

السيد ديلمي

ولهذا أقول إن في الأمر خطة مدبرة. خطأ غير مقصود.

السيدة ديلمي

دائما هكذا، أنت. لاتصغي الى رأي أحد ولاتصدق أحدا. كأنك وحدك المصيب. أنا أؤكد لك أن في الأمر سرقة، وأطلب اليك، كعمدة، باسم صديقتي زوجة المعاون، أن توقف تلك السارقة.

هز السيد ديلمي بكتفيه، وهم بأن يجيب، لكن غريبوي دخل الغرفة فجأة، تمسك به روز وهو يحاول التفلت منها بلكمات من قبضتيه وقدميه. صرخت المرأتان مذعورتين: «اللص.. المجرم.. أخو السارقة.. إنه يخنق روز. النجدة».

السيد ديلمي (بلهجة أمر حازمة)

إخرسا. ستقلقان المدينة.

السيدة ديلمي

وهو هذا مانريده، طالما أنك عاجز عن توقيف المذنبين.

السيد ديلمي

اخرسي. روز، دعي غريبوي يتكلم. ماذا تريد يابني؟

غريبوي

أرسلتني شقيقتي، سيدي العمدة، لأقول إنها أخطأت معي، كالعادة، في إيضاح ماطلبته مني. قالت لي: إحمل الي من الخزانة قطع القماش»، ففهمت أنها تقصد قطع القماش غير الصالحة للاستعمال. أما كنت تفهمها هكذا أنت ياسيدي العمدة؟

السيد ديلمي (مبتسما وقد بدأ يفهم الموضوع)

أكمل يابني. أكمل.

غريبوي

أخذت القطع العتيقة ولففتها بورقة رمادية كما قالت لي، وأعطيتها لتوماس كذلك كما طلبت مني. وبعد لحظات من صمتها وتفكيرها، توجهت الى الخزانة فاكتشفت ما فعلتُه، وطلبت مني أن أهرع الى هنا بسرعة موضحا. اعترضتني على الباب الآنسة روز مانعة إياي من الدخول. حاولت الاختراق فأمسكتني من سترتي. رفستها فلكمتني وتشاجرنا. وها أنا هنا تنفيذا لطلب شقيقتي.

السيد ديلمي (الى السيدتين)

أرأيتما؟ من منا كان على حق؟ (والى روز الواقفة عند الباب لاهثة محمرة الوجه) وأنت، اذا كررت مافعلته اليوم، تغادرين العمل عندي فورا. (والى غريبوي) وأنت ياصغيري، خذ هذه الرزمة وقل لشقيقتك ألا تضطرب وأن تعيد الى السيدة غريبو قطع قماشها الاصلية، واذا احتاجتني لأية خدمة أخرى، أنا جاهز. أنت ولد طيب وصادق، وأود خدمتكما أنت وشقيقتك.

غريبوي

وهل لدى السيدتين أوامر لي؟

السيدة ديلمي

أخرج ولاتعد الى هنا بتاتا.

ذهل غريبوي من ردة فعل السيدة ديلمي، وخرج بعدما حيا العمدة.

السيد ديلمي (مبتسما)

لم كنت قاسية معه هكذا؟

السيدة ديلمي

عندي أسبابي. هو ليس أفضل من شقيقته.

السيد ديلمي

كنت أظن شقيقته محظية مفضلة لديك حتى ترسلي اليها كل أثوابك.

السيدة ديلمي

كنت أرسل اليها. لن أرسل شيئا اليها بعد اليوم.

السيد ديلمي

ولماذا؟ لأنها فقدت أمها وباتت أحوج من قبل الى العمل؟

السيدة ديلمي

لأنها أفسدت لي آخر ثوبين، فلن أستطيع ارتداءهما.

السيد ديلمي

كنت اظنها ماهرة.

السيدة ديلمي

أمها هي التي كانت الماهرة، تفصل وتخيط.

السيد ديلمي

ومن قال لك هذا؟

السيدة ديلمي

روز.

السيد ديلمي

آ.. روز. وكيف علمت روز بذلك؟

السيدة ديلمي

قيل لها. وصدقت لأنها رأت بعينها ثوبين لي غير صالحين.

السيد ديلمي

ومن حملهما لك لتقيسيهما؟

السيدة ديلمي

روز.

السيد ديلمي

ومنذ متى كانا عندها؟

السيدة ديلمي

قبل خمس دقائق.

السيد ديلمي

آ.. إذاً، اختلف الأمر.

السيدة ديلمي

أي أمر؟

السيد ديلمي

لو كانت روز استلمتهما عند المساء، لكان عندها الوقت لافساد خياطتهما. ذلك أنها تكره كارولين وتكيد لها الاذيات.

السيدة ديلمي

تكرهها؟ على العكس. تحبها كثيرا، وصباح اليوم بالذات كانت تقول لي ذلك.

السيد ديلمي

تحبها لأنها نجحت في إخراجها من تفكيرك. عندي تقرير شرطة يؤكد أنها تكرهها، وأن روز خبيثة وشريرة. هل أنت متأكدة أن الأثواب لم تكن هنا مساء أمس؟

السيدة ديلمي

هكذا قالت لي روز. لم أتحر ذلك.

ولم يزد العمدة كلمة واحدة. حيا السيدة غريبو ودلف الى مكتبه. فتبادلت السيدتان النظرات الحائرة.

السيدة غريبو

ماذا تقولين؟

السيدة ديلمي

لست ادري ما أقول. قد يكون كلامه صحيحا. ما رأيك لو نأخذ الثوبين ونذهب عند كارولين وهناك نتأكد.

السيدة غريبو

فكرة جيدة. هلمي.

لفت السيدة ديلمي الثوبين في رزمة، وتوجهت مع السيدة غريبو عند كارولين. دخلتا، فنهضت كارولين واقفة مذعورة.

السيدة ديلمي

لاتخافي يابنتي. جئت أستوضح أمرا. قيل لي هذا الصباح انك لاتجيدين الخياطة، وان أمك هي التي كانت تخيطها. صدقت ذلك لأن الثوبين هذين جاءا مختلفي القياس، فلم أتمكن من ارتدائهما. لذا، حملتهما اليك لأرى اذا كان من إمكان لتصليحهما.

كارولين

شكرا على مبادرتك. لم أتجاسر على طلب ذلك بعد لهجتك القاسية هذا الصباح.

فكت كارولين الرزمة وتفحّصت الثوبين.

كارولين

سيدتي، ثمة من أعاد فك الصدار والكمين وقصهما وفصلهما من جديد بقياس خاطئ، بعد خروجهما من عندي.

السيدة ديلمي

مستحيل. قستهما مباشرة بعد إيصالك إياهما بخمس دقائق.

كارولين (مذهولة)

هل تسمحين بسؤالي: متى قستهما؟

السيدة ديلمي

العاشرة صباح اليوم.

كارولين

ولكنني أوصلتهما لكم في الرابعة بعد ظهر أمس.

السيدة ديلمي

كنتُ في المنزل ساعتئذ. فلم لم تسلميني اياهما.

كارولين

منعتني الآنسة روز. قالت لنا انك مشغولة.

السيدة ديلمي

فهمتُ كل شئ.

كارولين

تفضلي سيدتي: هي ذي القطب المفكوكة، وهنا أثر المقص الذي عبث بالتفصيل الاساسي. إنها خياطة رديئة ومغلوطة، وأنت تعرفين سيدتي بأنني لا أسلم ثوبا مغلوط القياس.

السيدة ديلمي

صحيح. دائماً عملك متمم.

كارولين

اذا سمحت بتركهما هنا، أصلحهما لكِ بما أستطيع. انما... هل لي أن أرجوك المجيء الى هنا لقياسهما؟

السيدة ديلمي (متبسمة)

طبعا. فهمت قصدك. غريبوي، هل روز تحب شقيقتك؟

غريبوي

كلا ياسيدتي. بل تكرهها.

السيدة ديلمي

لماذا؟ ومنذ متى؟

وأخـذ غريبـوي يروي كل قصـة ذاك الثوب الأول وغضب روز وتهديدها بافساد عمل كارولين. كانت السيدة ديلمي تصغي باسمة لسذاجة غريبوي وحانقة لأذية روز.

السيدة ديلمي

سأسعى ألا تتكرر هذه الحادثة، ياكارولين، وستنال روز رزمتها عند عودتي.

غريبوي

هل تسمح سيدتي بأن أحملها لها؟

هنا الرسم الملون بين ص ٦٤ و٦٥ وكلامه: «كان كل شيء على الارض قطعاً»

السيدة ديلمي

كلا، غريبـوي. رزمة روز ستكون مليئة توبيخا وإنذارا بالبحث عن منزل آخر تمارس منه أذاها.

وودعت السيدة ديلمي كارولين وغريبوي، وخرجت، تصحبها السيدة غريبو صامتة.

السيدة ديلمي

استغـربت الا تنبسي بكلمـة. فكـرت أنك قد تعيدين تكليف كارولين بخياطة أثوابك.

السيدة غريبو

أفضل انتظار الانتهاء من ثيابك لأتأكد من أنها هي التي تخيطها.

السيدة ديلمي

كيف؟؟؟ وهل مازلت تصدقين كلام تلك اللعينة روز؟

السيدة غريبو
قليلا. أحتاج الى اثبات ، وسيكون في صلاح أثوابك.

وصلت السيدتان فكانت روز قد خرجت.

بعد وقت قصير، أخذت السيدة تستقبل عدة صديقات جئن يستشرنها بماذا يفعلن في موضوع كارولين التي أفسدت لها ثوبين جديدين، حتى منعتها من اكمال الباقي.

استغربت السيدة ديلمي وسألتهن: «ممن هذه الأخبار»؟ فأجبنها جميعا: «من روز». عندها فهمت السيدة ديلمي كل شئ، وعذرت كارولين وصممت على تجنيبها الأذى الذي حاولت روز إلحاقه بها.

الآنية إربا إربا



حين عادت روز، استدعتها السيدة ديلمي وأبلغتها بما علمته، وبأنها قررت طردها واستبدالها بخادمة سواها. تباكت روز واحتجت بالاغماء وتظاهرت بالغياب عن الوعي. وهنا دخل السيد ديلمي ورآها على هذه الحال فبادر فورا الى ابريق ماء أفرغه كاملا عليها، فشهقت ورمقت سيدها بنظرة غاضبة.

السيد ديلمي (بضحكة ساخرة)

اذكرك بهذه الطريقة لانعاش المغمى عليهم.

لم تجرؤ روز على الجواب بل خرجت بسرعة ودلفت الى المطبخ حيث

بكت بقهر، وأخذت من شدة غضبها تمزج سكرا بالطعام المالح، وملحا وبهارا فوق السكاكر والحلويات، وأكملت على سائر صحون العشاء حتى لم يعد أي صحن قابلا للأكل. صرخت السيدة ديلمي بأن روز تنوي تسميم العائلة، فدخل السيد ديلمي الى المطبخ وانهال على روز توبيخا قاسيا أخذت تجيب عنه بنزق. وكلما تصاعدت لهجته، ازدادت وقاحة. هددها بالطرد الفوري فأجابته بأنها لاتبالي وليست مهتمة بالبقاء عنده ولن تجد صعوبة في ايجاد مخدوم آخر.

السيد ديلمي

احزمي حقائبك فورا. غدا صباحا تغادرين هذا المنزل.

روز

سأغادره بلا أسف وسأعرف ماذا أقول عن هذا المنزل.

السيد ديلمي

فليثرثر لسانك الخبيث بما يشاء. أما الآن فليخرس فورا.

روز

أنا حرة، وأريد التكلم ساعة أشاء، ولا أسمح لأحد بلجم لساني في فمي.

واذ كانت روز، خلال هذا الحوار الأخير، محشورة في غرفة الغسيل، انسحب السيد ديلمي بسرعة وأقفل عليها الباب غير مكترث لصراخها واحتجاجها وتهديداتها، وسحب المفتاح من الباب ووضعه في جيبه وصعد الى غرفة الطعام حيث كانت عائلته تتناول العشاء بما بقي من أجبان وزبدة وفجل وفواكه مما لم يفسده جنون روز.

السيدة ديلمي

وكيف تفسر عملها بهذه الصحون والأطعمة؟

السيد ديلمي

أفهم تصرفها. أثارت غضبي فانهلت عليها بدون وعي وطردتها فازدادت تهديدا ووعيدا. حجرت عليها في غرفة الغسيل والجلي، وسأبقيها فيها حتى المساء لتبريد دمها الثائر من غضب.

ولم يكد السيد ديلمي ينهي كلامه حتى علت ضجة قوية من المطبخ الذي يقع تحت غرفة الطعام. فصرخ السيد ديلمي:

ماهذا؟ ماذا بعد؟ ماالذي يجري؟ كأنها الصحون تتكسر...

السيدة ديلمي

لا..لا.. الحوض كان مليئا بالصحون! هذه ردة الفعل على تصرفك ياحضرة العمدة. انها روز تحطم كل الآنية.

السيد ديلمي

اني حجرت على الذئب في الحظيرة فانتفض يائسا. سأتلافى فداحة الأخطار وتماديها.

السيدة ديلمي

وماذا ستتلافى بعد، وجميع الصحون باتت إرباً إرباً. صحوني الخزفية الجميلة!

لماذا حجرت على هذه الشريرة المؤذية أيها العمدة؟ ألم تفكر في ردة فعلها؟

السيد ديلمي

لم أحدس أن تكون بهذا العنف. ماذا أسمع بعد؟ انه تكسير آخر. فلأهرع.

وهرع السيد ديلمي وزوجته وولداه الى تحت، فاتحين الباب، ومفاجئين بمشهد مرعب: جميع الصحون والأطباق والطاسات والصحاف على الأرض فتافيت من آلاف القطع. وكانت روز بقبقابها تكمل على مالم يتفتت بعد. وجهها محمر من غضب، عيناها تقدحان شررا، شعرها منبوش، ذراعاها عاريتان، كأنها جنية مجنونة. وما ان

فتح الباب حتى هجمت تشق لها ممرا. أمسك بها العمدة من توبها صارخا «سأودي بك الى السجن»، لكنها ضربته بقبقابها وانسلت هاربة تاركة أفراد العائلة مذهولين.

السيد ديلمي

مجنونة. لن أسكت عن هذا التجاوز. بصفتي عمدة، سألاحقها وأسجنها.

وصعد العمدة الى غرفة مكتبه فيما زوجته وولداه يلملمون الفتافيت ويبحثون عن صحن واحد على الأقل سالم، فلم يجدوا.

اميلي

ماذا سنفعل الآن ياأمي؟ لم يعد لدينا من يخدمنا.

السيدة ديلمي

لم أفكر بهذا بعد، ياحبيبي. سنبحث الموضوع حين يجيء والدك.

اميلي

بانتظار خادمة جديدة، نقوم بالخدمة أنا وأخي جورج.

السيدة ديلمي

مستحيل. انتما تذهبان الى السوق؟ أنتما تطبخان؟ أنتما تمدان المائدة وتنظفان البيت؟ مستحيل.

اميلي

مارأيك لو طلبنا ذلك من كارولين؟

السيدة ديلمي

فكرة جيدة. سنذهب ونفاتحها بالموضوع فور عودة والدك الى الصالون.

جورج

هل أتفقده فيه؟

السيده ديمي

نعم. وعد أنبئني.

هرع جورج الى الدرج فالتقى أباه صاعدا. لاقته روجته مقترحة عليه ذهابها عند كارولين لسؤالها عن إمكان مجيئها مؤقتا حتى إيجاد خادمة جديدة.

السيد ديلمي

موافق. فكرة جيدة، ربما تتطور.

السيدة ديلمي

تتطور؟ كيف؟

السيد ديلمي

باقتراح أن تبقى كارولين في خدمتنا.

السيدة ديلمي

صحيح؟ وماذا تفعل بشقيقها غريبوي؟

السيد ديلمي

تدعه في مؤسسة خيرية. فهو لايمكن أن يكون في خدمة أحد.

تناولت السيدة ديلمي قبعتها ومظلتها وتوجهت برفقة زوجها عند كارولين. وفي الطريق أخبرها زوجها بما نوى لروز من توقيف وسجن.

فوجئت كارولين بزيارة السيد والسيدة ديلمي، وهرع عريبوي يقدم لهما كرسيين. ثم شرحت السيدة ديلمي هدف الزيارة.

كارولين

أشكرك ياسيدتي على هذه الثقة التي منحتني اياها. ولكنني آسفة جدا! نعم جدا! لاأستطيع القبول بهذا الشرف الذي تمنحينيه.

السيدة ديلمي

ولم لا، ياكارولين؟ ستتقاضين عندي أضعاف ماتتقاضينه من عملك في الخياطة المضنية طوال عام كامل.

كارولين

لايمكنني التخلي عن شقيقي ياسيدتي. ماسيكون مصيره بدوني؟

السيد ديلمي

لاتقلقي على أخيك ياصغيرتي. سأهتم بادخاله الى مؤسسة خيرية تحتضنه. هنا رمقت كارولين شقيقها بحنان وحزن، وقالت وهي تهز برأسها:

كارولين

أبداً ياسيدي، لن أتخلى لحظة عنه. وعدت أمي بذلك قبل أن ترحل.

السيدة ديلمي

هذا غير منطقي ياصغيرتي. ستكونين عندي أكثر أمانا واطمئنانا. ومدخولك سيكون أكثر مما هو وأنت في بيتك تعملين خياطة. اذا مرضت، مثلا، أعالجك وأطببك مجانا، دون أن ينقطع مدخولك بانقطاعك عن العمل. بينما في بيتك، أقل مرض وانقطاع عن العمل والخياطة، يرميانك في العوز مع أخيك.

كارولين

ان في ماتقولينه منطقا كثيرا. ولكن، ياسيدتي، لايمكنني أن أحنث بوعدي لأمي، ولا نسيان أن أخي سيكون بائسا بعيدا عني.

غريبوي (ضاما يديه دامعا)

كارولين.. لا.. أرجوك.. لا.. لاتتركيني وحدي.. لاتتخلي عني.. اذا أنت ابتعدت عني، أموت مثل أمي.

كارولين

لاياحبيبي. لن اتخلى عنك وأذهب وحدي. أبدا. الا اذا خطفني منك الله بالموت.

غريبوي

هذا أمر آخر. أعرف عندئذ أنك سعيدة أمام وجه الله، وأسعى الى أن

أموت عاجلا لأوافيك.

السيد ديلمي

اسمعي ياكارولين: تأثرت كثيرا بوفائك لشقيقك وعطفك عليه. عندي حل: أدخلي في خدمتنا أنت وشقيقك. هكذا لايكون عندك موانع.

كارولين

أنا وغريبوي؟؟ صحيح؟؟؟ آه ياسيدي، هذا رائع. ولكن، كيف أجرؤ على القبول... أخشى أن... هل تنسى ياسيدي أن غريبوي...

السيد ديلمي (مبتسما)

لا، لا، لست غافلا. ولكن أعتقد أنه سيكون مفيدا لنا في أمور كثيرة: خدمة المائدة، تنظيف الغرف، المساعدة في الحديقة، ايصال بعض الحاجات. واطمئني: أعرف ماتخشينه. سأشرح له مهماته بكل وضوح، فلا يخطئ تنفيذها.

غريبوي

هذا كلام معقول! وأسكن عندكم؟ وآكل عندكم؟ وأعمل عندكم؟ ولا أنفصل عن شقيقتي؟

السيد ديلمي

أجل ياابني. أعرض هذا عليكما معا. فهل توافقان؟

غريبوي

أنا أوافق. كارولين، وافقي أنت أيضا. وبسرعة قبل أن يغير السيد ديلمي رأيه.

السيد ديلمي (ضاحكا)

لاياغريبوي. أنا لاأغير رأيي حين يكون مفيدا وصائبا.

غريبوي

عظيم. أنا مستعد وموافق. وأظن شقيقتي كذلك. كارولين، ماذا تقولين؟

كارولين

أعتذر ياسيدي اذا بدوت مترددة. أنا ممتنة جدا عرضك الكريم وكرم السيدة زوجتك.

السيدة ديلمي

اذن توافقين؟

كارولين

بكل امتنان وعرفان بالفضل وسعادة.

السيد ديلمي

اذن ياابنتي، يجب أن تلتحقي فورا بعملك لأن روز غادرت.

كارولين

غادرت؟؟؟

السيد ديلمي

أنا طردتها لاهانات وقحة تفوهت بها ضدي.

كتمت كاولين دهشتها ومفاجأتها خوف اثارة الجو أكثر ضد روز. طلبت إذنا أن تلتحق في الغد لترتيب منزلها ولاعادة بعض الغسيل والأثواب الى أصحابها.

وافق السيد ديلمي وزوجته، وتواعدا معها على مجيئها صباح الغد الى الفطور، وتركاها مع غريبوي.

وما إن غادر السيد ديلمي حتى راح غريبوي يقفز من الفرح، وكارولين تنظر اليه مفعمة سرورا.

غريبوي

ماأسعدني! وما أطيب هذا الزوج! انهما محترمان ورصينان. سيكون العمدة سيدي وسأخدمهما جيدا هو وزوجته. سأساعدهما واسلي ولديهما، بكل أنواع الألعاب والتسالي. وسأكون معك دائما لاغادرك ابدا. آه ياكارولين، ياكارولين، أية سعادة أنا فيها!

كانت كارولين تشارك شقيقها السعادة بهدوء ورصانة، مع بعض التفكير في ماستعمله كي يجئ جيدا. وفكرت في المطبخ: هل ستوفق في طعام دائما شهي؟ وفكرت أن عليها الجهر بذلك، فربما هما يظنانها

امهر مما هي عليه. وتمتمت: «سأسعى جاهدة، لكنني لست ماهرة الى هذا الحد. لاأعرف إعداد أكلة مميزة. سأقول لهما ذلك ولن أخونهما».

غريبوي

كارولين، بم تفكرين؟ لم لاتتكلمين؟ ألست سعيدة؟

كارولين

بلى. كثيرا.

والتفتت الى سرير أمها الخالي.

غريبوي (بقلق)

كيف تقولين هذا بحزن؟ كأنك ستبكين. في عينيك دمع محبوس.

كارولين

لا، لن أبكي. كنت فقط أنظر الى سرير أمي، وأفكر...

غريبوي

... بأنها ستكون سعيدة لدخولنا في خدمة آل ديلمي. أليس كذلك؟

كارولين (دامعة)

... بل بأنني سأترك البيت الذي عاشت فيه وأحبتنا فيه وفاضت روحها فيه.

هنا الرسم ص ٧٥ في الأصل

غريبوي

وماشأنها بالبيت وهي أمام وجه ربها؟

كارولين

مهما يكن... أحب التفكير بها.

غريبوي

وكلما تفكرين بها، تبكين؟ هذا محزن! ويضايقها. كأنك تقولين لها: «امي الحبيبة، أعرف أنك سعيدة ويؤسفني ذلك، وأعرف أنك ماعدت تتألمين ولهذا أتعذب. أتمناك هنا ولو متألمة وأرقة كما كنت، لكي أتمتع برؤيتك أمامي وخدمتك بدون شفائك، وأجعل غريبوي يضجر وحده فيما أنا منهمكة بخدمتك». هل هذا ماتريدين؟

كارولين (مبتسمة من خلال دموعها)

كيف تقول هذا؟ سأكف عن البكاء وسنباشر فورا بترتيب كل البيت وحـزم أمتعةٍ سنحتاجها عند مخدومينا، ثم سنحمل أثواب زبوناتي ونوصلها إليهن ونعود ننام للمرة الأخيرة في منزلنا.

وخـوفـاً من الاستسـلام مرة أخـرى لانفعـالاتٍ وعدت كارولين بتجـاوزهـا، انصرفت الى مسـاعـدة غريبوي الذي كان يعمل بذكاء وحيـويـة لم تعهدهما فيه. أمضيا نحو ساعتين في التنظيف وترتيب الأثاث وحشر اغراض في الخزانة لن يحتاجاها. كان غريبوي يريد حمل كل اغراضه معه: الكتب، الأوراق، ثيابه العتيقة، الصحون... فيما اكتفت كارولين برزمة ثياب عادية، مضيفة إليها ساعة يد أمها وبعض أغراضها الحميمة للذكرى والتأمل.

الصحيقات غير الوفيات

بعد صر جميع الأغراض وترتيبها، لفت كارولين الغسيل والأثواب وقطع القماش في رزمة حملها غريبوي، وخرجا لاعادتها الى أصحابها. وكانت المحطة الأولى عند السيدة غريبو.

السيدة غريبو

سررت لدخولك في خدمة آل ديلمي، وان كان يمكنني تأمين منزل أفضل لك بأقل أشخاصا وعملا وأكثر مدخولا وهدايا. أما وأنت التزمت بالموافقة، فلا يجوز ان تغيري رايك. ولكن، اذا ما امتعضت من الخدمة هناك، فتعالي إلي: منزلي مفتوح لك. لو كنت أعرف أنك تريدين

الاستخدام، لكنت أسمعت آل ديلمي، لكنهم دائما متكتمون ماكرون، لايعرف أحد سلفا ماذا ينوون. لالأنني لست احبهم، فهم أصدقائي، وإنما لاغفالهم أمورا كثيرة. روت لي المسكينة روز اخبارا لا تحصى ولاتصدق، أبعد الله فحواها عنك وعني. أتمنى لك سعادة لديهم أكثر مما كان للمسكينة روز. ولاتنسي ماقلته لك: المدخول عندي أكثر، والعمل والتعب أقل. وفقك الله.

حيت كارولين وخرجت بدون أن تجيب بكلمة، وغريبوي يتبعها.

غريبوي

مارأيك بما قالته السيدة غريبو؟

كارولين

لارأي لي لأنني لاأفكر بما قالته.

غريبوي

أنا لي رأي بها وبما قالته.

كارولين

وماهو؟

غريبوي

أرى أنها امرأة خبيثة مزيفة شريرة خائنة الصداقة. وسأقول لها كل هذا اذا ما جاءت تودّد الى السيدة ديلمي.

كارولين

لاياأخي، أرجوك ألا تقول شيئا. يجب أن نكون متكتمين في أثناء عملنا الجديد وماعلينا أن ننقل للبعض ماقاله عنه البعض الآخر. لاتعد أي كلام بعْد أحد. إحفظ لك ولي كل ماتسمعه.

غريبوي

حسنا. اذن لن أتكلم الا أمامك. لذا، أقول لك أنتِ ان السيدة غريبو هي امرأة...

كارولين

صه. وصلنا عند السيدة لادو.

وأعادت كارولين قصتها وتبريرها للسيدة لادو.

السيدة لادو

مؤسف ياصغيرتي أن أخسرك كخياطة. قد يكون أفضل لك دخولك في خدمــة العمــدة. لا لأن منــزله مغرٍ، فالخادمة فيه مرهقة، وولداه لايطاقان. كانت روز دوما تبقى جائعة، لشدة ماكانوا جميعهم نهمين وبخلاء. كل همهم: البروز والظهور في المجتمع. والسيدة ديلمي لاتفكر الا في أناقتها وهندامها. على كل حال، أتمنى لك كل خير وتوفيق، وان

كان بوسعك أن تجدي منزلا أفضل تستخدمين فيه. بل ليتك قلت ذلك قبلاً. عندي أنا، مثلاً. وأي فرق! ربما في المستقبل. من يدري؟ فلن تبقي لدى آل ديلمي طوال حيـاتك. الى اللقاء ياابنتي. وأكرر لك ان منزلي مفتوح لك اذا ماغيرت رأيك. مع السلامة.

غريبوي (خارجا)

وهذه واحدة أخرى. كم هؤلاء النساء شريرات، وكم هن متوددات الى السيدة ديلمي!

كارولين

هذا محزن لأن السيد والسيدة ديلمي كريمان وخلوقان مع الجميع.

غريبوي

همهم...

كارولين

مالك تهمهم هكذا؟

غريبوي

لأن السيدة ديلمي لم تكن خلوقة معك في أمر ثيابها.

كارولين

لأنها كانت تشك في أنني أنا التي تخيطها، وأنني أفسدت لها ثوبين.

غريبوي

ولم كانت تشك؟ هل أنت موضع شك؟ لماذا لم تستفسر منك مباشرة عوض أن تصدق ما قالته روز.

كارولين

لأنها لم تكن تشك في أن روز يمكن أن تكون كاذبة وشريرة الى هذا الحد.

غريبوي

وتشك فيك أن تكوني أنت خائنة وماكرة الى هذا الحد؟

كارولين

غريبوي، أنت تضخم الأمور. كن طيبا ومتسامحا واغفر لمن يسيئون اليك.

غريبوي

أغفر لمن يسيئون الي، لا اليك.

كارولين

لو كان الله يتصرف مثلك لما كنا الآن سعيدين.

غريبوي

الله لم تكن له شقيقة مظلومة.

كارولين

لكن له المغفرة. وهي أهم.

غريبوي

صحيح... وبما أننا ندخل في خدمة السيدة ديلمي، وبناء على استدعائها، يمكنني أن أغفر لها. بل... غفرت لها.

لم تجب كارولين بسوى ابتسامة، وكانا قد وصلا عند السيدة بيرون

معيدة اليها، كما الى سابقتيها، أشغالا لم يتسن لها إنهاؤها.

السيدة بيرون

هذا مؤسف. كيف تعيدين عملا كنت تعهدت بانهائه؟

كارولين

لم أكن أحدس، سيدتي، بموت والدتي ولا بعرض السيدة ديلمي بعدها مباشرة.

السيدة بيرون

كان يمكنك استمهال السيدة حتى إنهاء خياطة ثيابي. لن تموت من الانتظار، ولاأنت طبعا.

كارولين

اضطرت السيدة ديلمي الى خادمة، بسرعة، بعدما غادرتها الآنسة روز.

السيدة بيرون

غادرتها روز؟ لم أكن أعرف. هذا سيلقنها درس أن تعامل خادمتها بالحسنى. مسكينة روز! ولم غادرتها؟ أخبريني.

كارولين

لست أدري، سيدتي، وليس عندي تفاصيل أعطيها.

السيدة بيرون

كارولين، عزيـزتي، لاتتكتمي أمامي. لن أخبر أحدا. أقسم لك. هل حدثت بينهما مشاجرة؟ هل روز هي التي غادرت أم ان السيدة ديلمي هي التي طردتها؟ وماذا قال العمدة؟ وهل علم بمغادرة روز؟

كارولين

عفوا، سيدتي، ولكنني لاأملك أية تفاصيل عن الموضوع.

السيدة بيرون

ياغبية! تزايدين أمامي كما لو انك صرت فردا من عائلة ديلمي. تأكدي : خدمتك لديهم لن تطول. فالسيدة ديلمي مترمتة بخيلة متطلبة غضوب

لاتطاق. أتمنى لك ألا تتعذبي لديها. وتعلمي أن تكتمي ماستصادفين هناك لأن مايحدث، لاتحصى أخباره. مع السلامة.

ودلفت السيدة بيرون الى غرفتها صافقة الباب بقوة. راح غريبوي يضحك تحت قبعته. وبعدما استدارت كارولين ومشت، تسلل غريبوي بسرعة الى باب غرفة السيدة بيرون وأقفله بالمفتاح من خارج، وانسحب ملتحقا بشقيقته التي التفتت تتفقده.

كارولين

أين كنت حتى تأخرت؟ هل دخلت الى المنزل مجددا؟

غريبوي (ضاحكا باعتزاز)

دخلت وعاقبتها

كارولين (قلقة)

عاقبتها؟؟ كيف؟

غريبوي

أقفلت عليها الباب. هاهاها. فلتبق سجينة حتى تكفّر عن خبثها وسمومها.

كارولين

أوه! غريبوي، سيجن جنونها.

غريبوي

وماهمنا. أفضل أن تجن من أن تبقى عاقلة خبيثة.

كارولين

عد فورا وافتح الباب. قد تشكونا وتسبب لنا مشاكل.

غريبوي

تسبب لك؟

كارولين

لي ولك. عد ياحبيبي، بسرعة، قبل أن تكتشف مافعلته بها.

عاد غريبوي ودخل المنزل فسمع السيدة بيرون تصرخ: «من حجر علي في غرفتي؟ افتحوا فورا».

غريبوي

أنا، سيدتي. أنا غريبوي.

السيدة بيرون

ياوقح! ياغبي! سأقدم شكوى ضدك وضد شقيقتك. افتح لأريك.

غريبوي

لا. لن أفتح قبل أن تعديني بعدم إيذاء شقيقتي.

السيدة بيرون

لاأعدك بشيْ. ولن أعدك. وسوف أقدم شكوى. افتح الباب.

غريبوي

اذا بقيت على اصرارك، سأنقـل للسيدة ديلمي كل ماقلت عنها وعن عائلتها، وكيف ثرت لأن شقيقتي لم تذكر آل ديلمي بسوء.

السيدة بيرون (بذعر)

أيها الشقي! سيفعل ذلك. أعرفه. انه أبله! غريبوي، حسنا، افتح. لن أقدم شكوى.

غريبوي

أقسمي.

السيدة بيرون

أقسم لك افتح.

فتح غريبوي الباب وفر راكضا قبل أن يتسنى للسيدة بيرون فتح الباب. وحسنا فعل، لأن السيدة خرجت حاملة وعاء مليئا ماء، وهمت بافراغه على قدمي غريبوي فور فتحه الباب. لكنه كان قد خرج، فاندلق الماء على أرض الغرفة، من دون أن يشفي غليل السيدة بيرون بالثأر منه. وماهي إلا دقائق، حتى التحق غريبوي بشقيقته ضاحكا.

كارولين

مابك تضحك؟ هل قمت بعمل آخر؟

روى لها غريبوي ماجرى، فزجرته قليلا لكنها شاركته الضحك والمرح.

عادا الى منزلهما، وأعدّا حساء زهيدا. بعده أنجزا الترتيبات الأخيرة لمغادرتهما المنزل صباح الغد، ثم خلدا الى النوم.

نام غريبوي عميقا.. ومع الصباح، استيقظ عند أول نداء من شقيقته، وارتدى ثيابه بسرعة ليلتحق معها بعمله. وصلا باكرا جداً، فلم يكن أحد صحا بعد. دلفا الى المطبخ ليهيئا الفطور.

كارولين

ماهذه الفوضى؟

غريبوي

سنعمل على ترتيب كل شئ من جديد.

كارولين

حاول أن تجد مكنسة وتكنس، لأبدا أنا بالجلي.

توجه غريبوي الى غرفة المغسل، ثم شهق لرؤية الصحون مكسرة نتفا

غريبوي

أوووه. كارولين، تعالي انظري. كل الآنية على الارض محطمة

كارولين (إذ هرعت ورأت المشهد)

رباه! ماستقول السيدة الآن؟ عسى ألا تتهمنا نحن بالعمل.

غريبوي

لم ينج صحن ولاطبق ولاصحفة ولاكوب. لن نستطيع الدخول بدون الدوس عليها.

كارولين

خذ: هذه مكنسة. اجمع الفتافيت لنحملها خارجا.

ومـاهي إلا لحـظات، حتى تمكنت كارولين ببـراعتهـا، وغريبوي بمساعدته، من تجميع الكسور في كومة صغيرة تركتها كارولين ليراها سيداها.

كارولين

أحمل لي ماء بهذا الدلو. سأشعل نارا لأغلي الماء.

بعد لحظات، كانت النار تتقد، والماء يغلي في قدر نظيفة لماعة.

في هذه الحالة، دخلت السيدة ديلمي مسرورة:

السيدة ديلمي

هه. بدأ العمل باكرا. هل أنتما نظفتما المطبخ؟ كان كأنه مهجور.

كارولين

نعم سيدتي. كنسناه ونظفناه.

غريبوي

هل لسـيـدتـي ان تلقي نظرة على غرفـة المغســل، وألا تظني بأن ماستشاهدينه هو من صنيعي أو صنيع شقيقتي؟

السيدة ديلمي

أعرف، أعرف. انه من صنيع روز حين جنت لما بلغناها قرارنا بالطرد.

كارولين

وتعرفين، سيدتي، أن كل الآنية تحولت الى نتف؟

السيدة ديلمي

أعرف. رأيناها أمس. غريبوي، يجب لملمة هذه الكسور.

كارولين

هذا مافعلناه، سيدتي.

السيدة ديلمي

حقا؟ اذن أنجزتما عملا كثيرا مع هذا الصباح!

غريبوي

نعم سيدتي وسنكون دائما عند حسن ظنك وظن السيد العمدة.

كارولين

غريبوي، لاتتبجح سلفا.

السيدة ديلمي

بل دعيه ينقل مايجول في رأسه.

غريبوي

دائما تخرسينني، وها السيدة ديلمي تتيح لي الكلام. ولكن... اذا قلت لك كل ما يجول في رأسي، يجن جنونك لما صادفته منذ أمس.

كارولين

غريبوي، اخرس، لن تتسمر السيدة ديلمي لتصغي الى أخبارك

السيدة ديلمي

لا، لا. دعيه يتكلم.

كارولين

أخشى أن... يتعدى حدود طيبتك فيزعجك.

غريبوي

بل تخشين أن أروي للسيدة ديلمي ماسمعناه من صديقاتها! أوووه أية صديقات لك ياسيدتي!

كارولين (قلقة)

غريبوي، كنت وعدتني بألا...

غريبوي

صحيح، وعدتك. وسألتزم بوعدي ولن أروي حرفا منه. وها هي ذي السيدة ديلمي شاهدة علي أنني لم أخبرها ماقالته عنها، بسوء، السيدة غريبو، والسيدة لودو، وخاصة السيدة بيرون تلك المسعورة... آه لو رأيتها ياسيدتي كيف خرجت مذعورة من غرفتها حين هددتها بأن

اروي لك وللعمـدة ماقالته عنكما فوعدتني بألا تقدم شكوى ضـدي.
لكنت ضحكت اكثر مني.

السيدة ديلمي

ماهذا؟ ماالامر ماالذي جرى؟

وعبثا حاولت كارولين أن تؤشر خفية لشقيقها. إلا أنه لم ينظر اليها، وهم بأن يروي، فتداركته.

كارولين

لاشئ مهمـاً، سيـدتي. لاشئ يروى. أعـدت مسـاء أمس ثيـاب تلك السيـدات من دون أن أخيطها لهن، فانزعجن. هذا كل ماقي الأمر. وغـريبـوي كثير المزاح، فسره أن يجد تلك النسوة غاضبات هذا كل مايريد قوله.

وهم غريبوي بالكلام من جديد، لكن نظرة زاجرة من شقيقته نهرته فارعوى. وعبثا حاولت السيدة ديلمي سؤاله واستيضاحه، فلم تفلح في إخراجه عن إحجامه.

سألت كارولين أوامر سيدتها حول الغداء وعمل النهار فشرحت لها السيدة كل المطلوب.

وبعـد الغـداء، استـدعتها السيدة وأعطتها مفاتيح غرفة المؤونة وغرفة الغسيل وجميع الخزائن. كان غريبوي يتابع كل ذلك، بسرور يزيـده اهتمام السيدة ديلمي به. وكانت كارولين قلقة من قيامه بما يربك. لكن السيدة تأنس لحركاته وأقواله. وبصورة خاصة لدهشته حين رأى كثرة الثياب في الخزانة.

غريبوي

أوووه! ما أجمل هذه الثياب! أية ألوان زاهية متنوعة! حرام ألا تكون سيدتي أكثر شبابا وفتوة ونضارة! لكانت تليق بها تماما.

السيدة ديلمي (بانزعاج واضح)

كيف أكثر شباباً؟ الجميع يرونني شابة وفتية.

غريبوي

يرونك؟ صحيح. ولكنهم في غيابك يقولون العكس. صحيح أنك لست عجوزا مثل نانون، ولكن هذه الثياب تليق بصبية أكثر منك. بكارولين مثلا.

السيدة ديلمي (مبتسمة)

كم تظن أن عمري؟

غريبوي

يعني ... لا أكثر من أربعين عاما.

السيدة ديلمي

شكرا، كم أنت سموح. أربعون عاما... فعلاً، أربعون... ولكنني مازلت في الثلاثين.

غريبوي

لافرق بين ثلاثين وأربعين. يقال انك في الاربعين لأن لك محيا الاربعين.

كارولين

لاأظنك، سيدتي، تأنسين، بعد، الى هذا الكلام. فليس لدى غريبوي معيار للأرقام ولأعمار الناس. هل تريدين، سيدتي، أن تبقى هذه الثياب هنا؟ أراها محشورة كثيرا. وأخشى عليها من الدعك والتجعد.

السيدة ديلمي

تصرفي بها كما ترتاين. تفهمين بأمرها أكثر مني.

كارولين

سأفرقها للتهوئة قبل أن أعيد رصفها. لهذا المساء، أنصحك بهذا الثوب الأخضر والليلكي. انه يناسب وجهك النضر وشعرك الأشقر.

السيدة ديلمي (ممتنة)

كما ترين.

وعادت السيدة ديلمي الى مزاجها الطيب، فسرت كارولين بنجاحها في ذلك، وأكملت معها الحديث عن الثياب وتسريحة الشعر، واقترحت عليها أن تسرح لها شعرها بحسب الزي الرائج فوافقت السيدة ديلمي بحماس وانسحبت الى غرفتها لتتهيأ.

كارولين

غريبوي، فيما أنا أسرح شعر السيدة، ترفع أنت الصحون عن الطاولة وتقوم بالجلي. تنظف تماما كل شيء، وتعيد الصحون الخزفية الى مكانها في غرفة الطعام.

غريبوي

حاضر. ولكن، لماذا بدوت منزعجة حين حدثت السيدة عن عمرها؟

كارولين

لأن من المحظور الكلام مع السيدة عن عمرها. اياك أن تكرر ذلك.

غريبوي

حاضر، أعدك، طالما هذا يزعجك. ولكنني، فعلاً، لم أفهم السبب.

السيدة ديلمي (من غرفتها)

كارولين... كارولين... أنا جاهزة وأنتظرك.

كارولين

السيده تناديني إذهب فورا الى عملك. وإياك أن تكسر قطعة واحدة.

غريبوي

اطمئني. لن أفعل مثل روز.

وأخذ يفكر: غريب ألا تسمح لي كارولين بالكلام على عمر السيدة! لماذا ترى؟ هل لخوفها من الا يكون لها رشد سنها؟ أكيدا، هذا هو السبب. تريد أن تكون أكثر تعقلا. مع أنها أقل. وهل معقول أن تخيط مثل هذه الأثواب كأنها صبية؟ هذا، مثلا، نضر وجميل ويليق بكارولين. وهذا الأزرق.. وهذا الليلكي الذي نصحتها به كارولين لهذا المساء.

ثم هز برأسه وانصرف الى العمل. مر في غرفة الطعام فرفع الآنية ونفـذ تمـامـا ما طلبته منه كارولين بوضعها على الطاولة بعد جليها وتنشيفها. ثم نزل الى المطبخ، وقام بالجلي والكناسة والترتيب.

وحين دخلت شقيقته لتحضير العشاء، كانت سعيدة جدا وطلبت منه أن يذهب الى الكـاهن يعلمه بالتغيير الذي طرأ على وضعهما، والذي استجد بسرعة فلم يتسع لها الوقت لاعلامه به.

لقاء غير متوقع



خرج غريبوي فورا، لأنه كان، أساسا، يرغب في القيام بنزهة. وإذ دخل في زقاق ضيق يؤدي الى بيت الكاهن، رأى باب مستودع مهجور ينفتح بحذر، تخرج منه فتاة تتلفت خشية أن يراها أحد. وبعدما تلفتت يمنه ويسره، انـزلقت الى الزقاق، ففوجئت بغريبوي أمامها. أطلقت صرخة ذعر وحاولت العودة بسرعة من حيث أتت، لكن غريبوي سد لها الطريق، لأنه... عرفها.

غريبوي

آنسة روز؟ ماذا تفعلين في هذا الكوخ المتداعي؟ ولماذا تهربين مني؟

روز

صه. أرجوك. لاتضيعني.

غريبوي

كيف أضيعك، وأنا وجدتك؟

روز

أعني... لاتقل إنك صادفتني وانني هنا في المستودع.

غريبوي

ولم لاأقول؟ أي ضرر في هذا ؟ تأكدي أن كارولين لن تغضب من ذلك.

روز

غريبوي، اذا علم أحد بأنني هنا، يأتي لاعتقالي وسجني. فرجال الشرطة يلاحقونني.

غريبوي

رجال الشرطة؟ آي! هذا أمر آخر. ولكن... لماذا؟ أي عمل اقترفت؟

روز

ضربت العمدة وكسرت له آنية منزله.

غريبوي

آ... إذن، انت قمت بهذا العمل؟ صرفت ساعتين في لملمة آلاف كسور الصحون عن الأرض، وهل... لهذا العمل ستسجنين؟

روز

نعم. بهذا هددني العمدة فهربت واختبأت محتمية هنا. لكنني ياغريبوي، وكنت ذاهبة عند الكاهن أطلب منه خبزا وأرجوه التوسط مع العمدة ليصفح عني. أخاف السجن.

غريبوي (بشفقة)

فهمت. كم أنت مسكينة. لماذا كنت شريرة هكذا لتستحقي السجن؟ كيف العمل لانقاذك؟ همت روز بالجواب فسمعت وقع خطوات تقترب

من الزقاق. دفعت غريبوي بسرعة الى المستودع ودخلت وراءه واقفلت الباب وأختبأت خلف كومة من العلف المهجور في زاوية مظلمة. هم غريبوي بالكلام فأخرسته بهمس متوسلة اليه بيدين مضمومتين: «أرجوك. ولاكلمة. والا وقعت في الأسر».

فبقي غريبوي صامتا مذعورا. كانت الخطوات تقترب ببطء. انهم رجال الشرطة. بلغوا باب المستودع فجلسوا على عتبته يتكلمون همسا، وغريبوي يحاول التنصت، فلم يفلح في سماع سوى كلمات متقطعة: «ربما هربت... قد تكون عند الكاهن... هذه أمثولة لها... روز... وردة... وردة الحقول... وردة الغابات... هاهاها»...

بعد جلسة رجال الشرطة لوقت قصير، انصرفوا ضاحكين مرددين: «وردة الحقول». ران الصمت من جديد، فخرجت روز من مخبئها مرتجفة، وكذلك غريبوي.

روز

يجب أن أحصل على كسرة خبز. أنا جائعة. لم أعد أستطيع الاحتمال. غريبوي، أرجوك، اذهب وائتني برغيف خبز. أكاد أموت جوعا.

كانت أسنان غريبوي تصطك وركبتاه خائرتين. لكنه تأثر لعذاب عدوته القديمة فتوجه صوب الباب وفتحه، ليفاجأ بشرطي امامه منتصب في الباب، فصرخ من ذعر ووقع أرضا.

الشرطي

لم هذا الرعب كله؟ الذي يخشى الشرطي يكون مقترفا إثما. قم واقفا لأراك يابني. لكن غريبوي لم يتحرك، فرفعه الشرطي بقوة.

هنا الرسم ص ٩٥ في الاصل

الشرطي

هه. غريبوي.. هذا أنت؟ ولم تخاف مني اليوم ونحن صديقان؟ ماذا كنت تفعل في هذا المستودع المهجور؟ قد لاتكون وحدك.

وحاول الشرطي الدخول فسد له غريبوي الباب متوسلا.

غريبوي

أرجوك لاتدخل. أرجوك.

لكن حيلولته لم تفلح لأن الشرطي أصر على الدخول، فاستدرك:

غريبوي

أشفق على الفتاة المسكينة، انها تتضور جوعا.

الشرطي

الفتاة المسكينة؟ تتضور جوعا؟ عن أي فتاة تتحدث؟ وهل ظننتني في دورية مطاردة؟

غريبوي

ألست تطارد الآنسة روز، خادمة العمدة السابقة؟

الشرطي

روز؟ وهل صدر أمر بتوقيفها؟ لم؟ ماذا فعلت؟

غريبوي

لست أدري. ظننتك كنت مع رجال الشرطة الذين كانوا هنا قبل لحظات، ويتحدثون عن توقيف روز، ثم ذهبوا صوب الكاهن.

الشرطي

كلا. لم أكن معهم. ولكنني أفهم منك الآن أن رفاقي تبلغوا أمرا باعتقال روز، وأنها تختبئ هنا، وأنك تصدني عن الدخول. ان الواجب يابني فوق كل اعتبار.

قال الشرطي هذا، ودخل المستودع باحثا. وفيما كان يدور بين البراميل الفارغة، ركض غريبوي الى كومة العلف التي كانت تختبئ خلفها

روز قبل لحظات. ولما لم يجد الشرطي أحدا، ورأى غريبوي مسمرا الى الكومة مرتبكا، توجه صوبه:

الشرطي

اذن هي هنا وأنت تحميها. قم من عندك.

رفض غريبوي التحرك، فسحبه الشرطي فدار على نفسه كالخروف. وفتش الشرطي كذلك خلف الكومة فلم يجد أحدا.

هنا الرسم بين ص ٩٦ و٩٧ وكلامه: «ارجوك ايها الشرطي لاتدخل»

الشرطي

غريب.. كنت متأكدا أنها هنا. لم يبق الا هذه الزاوية. وهي ليست فيها.

غريبوي (مصفقا بيديه)

لقد خرجت. هربت. أنقذت نفسها. ولكن... من أين خرجت، ترى؟

الشرطي

تعني أنها كانت، فعلا، وراء هذه الكومة؟

غريبوي

طبعا. ولكن... من أين تراها خرجت مادمنا كنا على الباب؟

الشرطي

إذن أنت متواطئ طالما أنك تساعدها على الاختباء.

غريبوي

صادفتها على الباب كما صادفتك. سمعت وقع خطوات فشدتني الى الداخل وسمعنا رفاقك يتحدثون عن روز. بعد ذهابهم، رجتني أن أجيئها برغيف خبز. كنت خارجا فصادفتك وخفت. هذا كل شئ.

ولكن... أين هي؟ ليس في هذا المستودع باب آخر ولانافذة.

الشرطي

إسمع. فلنذهب عند الكاهن ونجد الرفاق وأتأكد ان لم تكن هذه كلها خدعة منك.

غريبوي

هيا. أساساً كنت ذاهبا اليه في مهمة كلفتني بها شقيقتي.

وخرجا، من دون أن يقفل الشرطي الباب باحكام. وبعد خطوات، همس:

الشرطي

غريبوي، أكمل أنت وحدك. أنا متعب. قلِ لرفاقي انني أنتظرهم هنا.

لم يشك غريبوي في الأمر، فاكمل حتى بلغ الكاهن وسأله عن رجال الشرطة.

الكاهن

لم يزرني رجال الشرطة. وماعلاقتك بهم؟

غريبوي

ماأنا بل الشرطي رفيقهم ينتظرهم في الزقاق عند مدخل المستودع.

الكاهن

ليسوا عندي. وهل لهذا أتيت؟

غريبوي

كلا، بل كارولين أرسلتني لأروي لك ماحدث معنا.

وروى غريبوي للكاهن آخر التطورات، فسر هذا الاخير لقرار كارولين.

الكاهن (مترددا)

و... في خدمة السيدة ديلمي، قلت؟ لماذا تفرق بين خدمة السيدة وخدمة السيد؟

غريبوي (وهو يهز برأسه)

لأن... ثمة فرق... فالسيدة ديلمي تستوجب خدمتها اطراءها باستمرار، وأنا لاطاقة لي على ذلك. لديها أثواب... أثواب. لو رأيت فساتينها لتأكدت أنها ليست كالسيد العمدة.

الكاهن (ضاحكا)

طبعا ياغريبوي. وهل للرجال فساتين؟ دائما لهم الثوب نفسه: معطف

وطقم.

غريبوي

أعرف. ولكنهما مختلفان. كأنهما وعاءا زبدة: الأول طيب المذاق والآخر فيه طعم الزنخ. ومع ان كارولين لاتحب طعمه، الا أنها قد تأكل منه. وأنا كذلك ربما... مرغما.

الكاهن

غريبوي، لاتسكنك هذه الهواجس. صحيح أن السيدة ديلمي صعبة، لكنها ليست شريرة. وكارولين عاقلة وحكيمة. لاتخف يابني. مع السلامة.

وخرج غريبوي عائدا، فسمع صوتا داخل المستودع والباب مشقوق. مد رأسه فذهل لرؤية الشرطي يكبل روز بيديها ورجليها.

فالذي حصل، أن الشرطي، بعد ذهاب غريبوي، كان يشك في مخبا سري. تسلل الى المستودع وانتظر وراء كومة العلف، فسمع بعد لحظات ضجة خفيفة كأنها من تحت الارض، ثم رأى ألواحا خشبية على الأرض تتحرك ويخرج من بينها رأس فتاة تتلفت في كل اتجاه، ثم

خرجت من جحرها وتوجهت مطمئنة الى الباب، فداهمها الشرطي ورماها أرضا، وكم فمها بمنديل كي لاتصرخ، وكبل يديها ورجليها.

غريبوي

أوووه... أيها الشرطي، لاتؤذيها. مسكينة آنسة روز! ستختنق. انزع المنديل عن فمها.

الشرطي

أين رفاقي؟ هل اتوا؟

غريبوي

لم أرهم. ولا الكاهن رآهم.

الشرطي

وماذا سأفعل بهذه الفتاة؟ لا أمر معي بتوقيفها. فعلت ذلك من اجلهم. قولي يا آنسة، لم كنت تختبئين؟

روز

قيل لي ان العمدة أصدر أمرا بتوقيفي.

الشرطي

بأية تهمة؟

روز

ضربته إثر نوبة غضب.

الشرطي

ضربت العمدة؟آ... حالتك صعبة. ولكن، بما أنني لاأحمل أمرا بتوقيفك، سأفك وثاق رجليك، إن رفاقي ليسوا هنا. وسأقودك عند العمدة، وليتصرف بك هو كما يشاء.

روز

الرحمة سيدي الشرطي! لاتعد بي الى المدينة موثقة أمام الناس.

الشرطي

إسمعي. بي رغبة الى رحمتك ولكن الواجب أولا وأخيرا. كل مايمكنني عمله، أن أبقى معك وأرسل غريبوي الى العمدة، وليقرر هو ماذا يريد ان يفعل بك. غريبوي، اذهب الى العمدة وقل له انني أوثقت روز وأنتظر توجيهاته لأتصرف.

هرع غريبوي الى بيت العمدة، دخله ومر في المطبخ كالسهم، غير مستجيب لنداء شقيقته التي ذهلت لرؤيته شاحبا وراكضا بهذه اللهفة.

غريبوي

دعيني. الشرطي ينتظر. لاوقت عندي

ودخل الصالون، فوجد السيدة ديلمي وحدها. أكمل بدون أن يتوقف لنداء سيدته. ودخل على العمدة في مكتبه بدون أن يقرع الباب.

السيد ديلمي (منزعجا)

ماذا تريد كي تزعجني بهذا الشكل؟ عندي موعد عمل.

غريبوي

ماهم، سيدي العمدة. يجب أن ترافقني فورا الى المستودع المهجور. هناك شرطي أوثق الآنسة روز وينتظر أوامرك ليتصرف.

السيد ديلمي

هذا ولد مجنون! ماذا تقول ياابني؟؟

غريبوي

أقول: يجب أن تاتي معي فورا لأن الشرطي يطلبك.

السيد ديلمي

أي شرطي؟ ولماذا؟

غريبوي

لماذا؟ لست أدري. أي شرطي؟ السيد بورجيه.

السيد ديلمي

اذهب أيها الشرطي معه. لم أفهم كلمة واحدة.

غريبوي

مع أن كلامي واضح: الشرطي بورجيه يستدعيك لأنه اعتقل الآنسة روز.

السيد ديلمي

ولماذا اعتقلها؟

غريبوي

لست أدري. كانت جائعة. كنت ذاهبا لأحمل اليها رغيفا. اصطدمت به. كان رفاقه ذهبوا. فجأة اختفت الانسة روز. أرسلني

عدت. وجدته وقد أوثق رجليها. فككت لها المنديل عن فمها لأنها كادت تختنق. أرسلني. أسألك ماذا تريده أن يفعل. هذا كل شئ.

السيد ديلمي

تعال ايها الشرطي. في الأمر غرابة. وأنت، غريبوي، تعال معنا ودلنا على المكان. تناول العمدة قبعته وخرج يتبعه الشرطي وغريبوي. وصلوا، فوجدوا روز متربعة أرضا، وتلتهم قطعة خبز تمسكها بيديها المكبلتين، والشرطي واقفاً بجانبها يراقبها.

العمدة (داخلا)

ماهذا أيها الشرطي؟ لم أوقفت هذه الفتاة؟ ولماذا أرسلت تستدعيني؟

الشرطي

ماكنت لأزعجك سيدي لولا حراجة الموقف. علمت بأن رفاقي يبحثون عنها فأوقفتها. وإذا لاأمر معي بالتصرف، أرسلت أستشيرك.

العمدة

ورفاقك، لم يطاردونها؟ من أمرهم؟

الشرطي

لست أدري، سيدي. أنا نفسي عاجز عن التوضيح. لهذا أرسلت أستدعيك. كانت الفتاة مختبئة، واعترفت لي بأنها ملاحقة، فأوقفتها احتياطا.

العمدة

روز، لماذا كنت تختبئين؟

روز

لأهرب من السجن.

العمدة

ومن كان سيسجنك؟

روز

السيدة غريبو قالت لي: «سببت الأذى للعمدة، وسيسجنك. اختبئي. رجال الشرطة يطاردونك». فأختبأت لأنني أخاف السجن.

العمدة

وأنت، أيها الشرطي، لم طاردتها وأوقفتها؟

الشرطي

طاردتها لأن غريبوي قال لي ان رفاقي يبحثون عنها ليوقفوها. وأوقفتها لأنها هي اعترفت بأنها تهرب من رجال الشرطة.

العمدة

في كل هذا، أيها الشرطي، قصة ملفقة. بانتظار ذلك، فك وثاق يديها ودعها تذهب... وأما أنت ياروز، فقد نلت عقابك بنفسك. كان يمكنني الأمر بتوقيفك لكنني أشفقت عليك وصفحت عنك. وضميرك الذي وبخك هو الذي سبب لك كل هذه المتاعب، لا أنا.

الهفوات الأولى



خرجت روز صامتة، وآثار العار على وجهها. وانصرف الشرطيان ضاحكين من الحدث. أما غريبوي، فعاد مع سيده العمدة ديلمي.

غريبوي

تبين، سيدي العمدة، أن السيدة غريبو، بثرثرتها، هي التي كانت وراء هذا الحدث. فاحترز منها.

العمدة

أعرفها. وأعرف مثيلاتها صديقات زوجتي.

غريبوي

صديقات... جميلات! لو كنت مكانك لقلت لهن الحقيقة كلها.

العمدة

وأنشاجر مع زوجتي؟

غريبوي

وهل تظن أن السيدة زوجتك تحبهن كما أنا أحب كارولين ؟ لاأعتقد. انها ذكية.

العمدة

وكيف تحزر كل هذا؟ من أين تستقي معلوماتك؟

غريبوي

من عقلي وقلبي. وأحزر، لأنني أقيس الحالة على مايمكن أن تتفاعل معها كارولين. سمعت الكثير مما قالته تلك السيدات حين كن يأتين الى كارولين لخياطة أثوابهن، فيرحن يتكلمن على هذا وذاك، وهذه وتلك...

العمدة

وماذا كنت تسمع؟

غريبوي

لا. لاأستطيع إخبارك. تمنعني كارولين.

العمدة

آ.. ومازلت تطيعها؟

غريبوي

دائماً وأبداً. حتى حين لا أفهم لماذا.

العمدة

اذا أمرتك؟ كارولين بمهمة، وأمرتك أنا بعكسها. فمن منا تطيع؟

غريبوي (مفكرا)

من أطيع؟ أنت سيدي، وهي شقيقتي. وفي الحالات العادية، علي أن أطيع سيدي. هكذا تقول لي كارولين. أما أنا، فانني... أطيعها هي ولاأطيعك

العمدة (باسما)

أشكرك. ولكن... لماذا؟

غريبوي

لأن الشقيقة لايمكن تبديلها. تبقى شقيقة. بينما السيد يمكن تبديله. أنت اليوم سيدي ولكن إذا تركتك لاتعود سيدي.

العمدة (ضاحكا)

عظيم، غريبوي! انك تعقل الأمور بمنطق.

وبلغا المنزل وهما يضحكان: العمدة يضحك لمنطق خادمه، وغريبوي لضحك سيده.

كان العشاء جاهزا، وكارولين تنتظر عريبوي ليصعد معها الصحون من المطبخ الى غرفة الطعام. كانت تنوي تأنيبه لتأخره في المجئ ومد الطاولة، فوعدها بأن يشرح لها التفاصيل بعد العشاء. وكان العشاء لذيذا، وغريبوي خدم باتقان، مغتبطا لمدائح سيده. ولكن غبطته لم تدم طويلا لأنه - فيما كان يسحب طبق التوت - علق بشعر سيدته فانقلب الطبق وتناثرت حبات التوت على رأس السيدة ديلمي وفستانها، فصرخت وهي تنهض مذعورة:

السيدة ديلمي

أهوج! أفسدت تسريحتي وبقعت فستاني. هذا لايطاق.

غريبوي (بهدوء)

الأمر بسيط! كارولين تعيد لك تسريحتك. وتبقع الثوب ليس مهماً، إن الثوب أساسا ليس جميلا.

همت السيدة ديلمي بالاعتراض غضبي، فأكمل:

غريبوي

أبداً ليس جميلا! لايليق بك. بفستانك الذي ارتديته صباحا، كنت تبدين أكثر صبا وجمالا.

السيدة ديلمي (غاضبة)

وقح!

غريبوي (مفاجأ)

وقح؟ لماذا؟ أي خطا في ماقلته ياسيدي؟

ابتسم السيد ديلمي. فوجئ بسؤال غريبوي، فرفع بصره الى وجه زوجته الغاضب، وتطلع الى وجه غريبوي الساذج، فهز بكتفيه وأشاح بنظره.

غريبوي

أترين، سيدتي؟ سيدي لم يجب. لو قلت مايغضبه، لكان أجاب. هل هذه غلطتي، اذا كانت تسريحتك سيئة ومرتفعة الى حد أن يطيحها الطبق؟ أسألي كارولين اذا كنت أعلق بشعرها أي شئ. لماذا؟ لأن تسريحتها بسيطة.

السيدة ديلمي

هذا الولد بات لايطاق. لايجب إبقاؤه في البيت.

هم السيد ديلمي بالجواب، لكن كارولين دخلت في تلك اللحظة، سائلة عما جرى.

العمدة

لاشئ مهما. علق الطبق، وهو في يد غريبوي، بشعر زوجتي فانقلب وانفلش التوت على شعرها وفستانها.

كارولين (مذعورة)

وسيدي استاء منه. أنا آسفة. تبقع ثوب سيدتي الجميل، وامتلأ شعرها بعصير التوت. اذا سمحت سيدتي، أعيد لك تسريحة شعرك، وأنظف لك ثوبك. بغسله الفوري، تزول آثار البقع.

هدأ غضب السيدة ديلمي أمام طيبة كارولين وامتداحها شعرها وفستانها. فخرجت من الغرفة، تتبعها كارولين التي رمقت غريبوي

بنظرة عتب حزينة وطيبة.

كان غريبوي، حتى هذه النظرة، هادئا، لكنه ـ عند شعوره بانزعاج شقيقته ـ أخذ يذرع الغرفة بخطوات كبيرة ويردد صارخا:

غريبوي

ارتكبت هفوة! عرفت ذلك من نظرة كارولين. قل لها، سيدي، ألا تغضب. لم أفعل ذلك عمدا. الصحن يعلق بالشعر العالي، وهذا أمر قد يحصل لرأسٍ كرأس سيدتي. وهل كنت متحسبا لشعر سيدتي المنفوش ولرأسها الذي كالصاع؟ ليس من العدل الانقلاب ضدي بهذا الشكل. أليس كذلك، ياسيدي؟

العمدة

اسمع، غريبوي: لم تأت عملا سيئا، لكنك ارتكبت هفوة طائشة ووقحة.

ومن شروط الخادم ألا يكون طائشا ولا وقحا.

غريبوي

هذا سهل قوله، ياسيدي. ووددت لو كنت في مكاني، وعليك تبديل دزينة من الصحون والأطباق من دون كسر أي منها. ثم... ماالسوء إذا ـ عن غير قصد ـ قلبت طبق التوت على فستان رديء وشعر مسرح ببشاعة؟ وبعد... لن أزيد حرفا طالما سيدي يجد سيدتي جميلة هكذا. ولكنني، لو كنت مكانك، لأمرتها بتغيير تسريحتها فورا. طبعا، لن تصبح بعدها جميلة، لكنها تصبح أجمل قليلا مما هي، بمعنى...

العمدة (مقاطعا بحزم)

غريبوي... غريبوي... اذا استمريت في هذا الكلام ستتشاجر مع زوجتي و... معي.

غريبوي

لاأتورع، سيدي، عن أن أقول لسيدتي ما أقوله لك. لكن الفرق أنك أنت لاتستاء مني ولن تخبر كارولين بما قلته لك. فهي قالت لي:

«لاتتحدث أمام السيدة عن عمرها».

العمدة

آ.. كارولين قالت لك هذا؟

غريبوي

نعم، سيدي. لكنني نسيت تنبيهها، وقلت لسيدتي انها عجوز. آه، من حق كارولين أن تستاء مني وتغضب. رباه، كم أنا حزين! كارولين مستاءة مني.

العمدة

لاتقلق يا ابني. قل لكارولين إنني سامحتك وإنني مسرور منك، فلا تعود تغضب. هيا. إرفع الآنية، ولاتخف. واحذر أن تكسر منها شيئا. سأكون صديقا لك وأدافع عنك.

غريبوي

شكراً سيدي. أنا ممتن لك. لن أنسى فضلك وكبر قلبك. و... أنا كذلك سأكون صديقك الذي... يموت من أجلك.

التحلية المنغصة

خرج السيد ديلمي، بعدما قام بحركة تودد لغريبوي، الذي انبرى يرفع الصحون والأواني. سر لحركة سيده، فهتف: «رجل طيب» وهو يضرب كأسا على صحن، فانكسر الصحن والكأس معا.

غريبوي (متمتما)

هه. هفوة أخرى. صحيح أن الشؤم يلاحقني. هذه أمور لاتحصل ألا معي. أهتف: «رجل طيب» ممتدحا سيدي، فينكسر الكأس على الصحن، وينكسر الصحن. ألم يعد يمكن أن أقول: «رجل طيب»؟

رفع غريبوي كتفيه تذمرا، وأكمل رفع الصحون. وكان يحمل آخر

دفعة، حين سمع صوت السيدة ديلمي وكارولين. فحث الخطى ليجنبهما، لكنه فوجئ باميلي وجورج، ولدي السيدة ديلمي، عائدين من عند عمتهما. فصرخا من المفاجآة: «هه، غريبوي! ماذا تفعل عندنا؟ وما هذه الدفعة من الصحون»؟

غريبوي

بما أنني صديق والدكما، أقوم بالخدمة في هذا البيت كصديق.

جورج

غريبوي صديق والدي! ماهذه المزحة؟

غريبوي

لاياسيد، ليست مزحة. سل والدك الذي هو ... صديقي. أنا سعيد بنقل هذه البشرى اليكما.

اميلي

والدي صديقك؟ آ آ آ.. ماهذا الجنون! والدي صديق غريبوي!

غريبوي

نعم آنسة. ولم لايكون صديقي طالما أنا صديقه؟

سمعت كارولين حوار الولدين وشقيقها، فهرعت تشرح لهما كيف ولماذا هي وشقيقها عندهما في المنزل، وأن غريبوي يقوم بخدمة المائدة. سر الولدان بهذا التغير في الخدمة، لأنهما كانا يحبان كارولين ويتسليان بسذاجة غريبوي. أسرعا الى الصالون وقبلا والديهما، منبهرين بتسريحة أمهما، على مرأى من كارولين التي قامت بها.

السيدة ديلمي (ضاحكة)

غريبوي يدعي أنني عجوز، ولايجوز أن أسرح شعري هكذا.

اميلي

عجوز؟؟ كيف؟ بل على العكس: تسريحة تلائمك جدا. حافظي عليها.

السيد ديلمي

أنا أجدها جميلة، انما غير ملائمة.

السيدة ديلمي

بل ملائمة وملائمة جدا. انها متينة متماسكة، والشعر كله حزمة واحدة.

اميلي

وتفكينه،عند المساء؟

السيدة ديلمي

لست أدري، بعد، ياصغيرتي. هذه أول مرة أسرحه هكذا.

اميلي

وهل يستغرق وقتا لفكه؟

السيدة ديلمي

كلا. ربع ساعة على الأكثر. كارولين تتولى ذلك.

اميلي

أنا سعيدة أن تكون كارولين في منزلنا. ولكن، لماذا غريبوي أيضا؟ انه أبله. ما الذي يمكن ان يفعله؟

السيدة ديلمي

شقيقته تشرف على عمله وتساعده.

في هذه الأثناء، كانت كارولين تصغي الى غريبوي يسرد لها تفاصيل حادثة المستودع مع روز.

كارولين

هل لست الآن سوء أن نخبر عن كل مانرى ونسمع؟ كادت المسكينة روز أن تعبر في شوارع المدينة موثقة اليدين ومقتادة من الشرطي، بسبب ثرثرات السيدة غريبو. للمناسبة: مازلت كثير الثرثرة أمام مخدومينا. وهذا المساء، أثرت غضب السيدة ديلمي.

غريبوي

لاتقلقي لذلك. العمدة يبلغك أنه غير مستاء، وألا تشغلي بالك. وقال انه

صديقي.

كارولين

يسرني أن يكون العمدة غير مستاء. ولكن، أرجوك، لاتثر استياء السيدة. لاتكلمها مطلقا على أثوابها أو على مايلائمها. هذا لايعنيك. أنت اهتم بعملك، وهذه أفضل طريقة لارضاء الجميع.

وعدها غريبوي بوقف ملاحظاته، وباحتفاظه بها لها وحدها. ويوما فيوما، كانت كارولين تزداد افادة بفضل ذكائها وحيويتها ومهاراتها في تنفيذ كل أنواع الخدمات المطلوبة، وسرعتها في تلبية أسيادها.

صباح كل يوم، قبل أن يستيقظ من في البيت، كانت تزور قبر والدتها وتسألها أن تساعدها على احتمال قسوة العمل الذي ارتضته لتحمي شقيقها. فلو كانت وحدها، لرفضت كل عرض، واستمرت في مهنة الخياطة التي كانت تكفيها وتتيح لها فسحة راحة في السهرات وأيام الآحاد. فهي لدى آل ديلمي تعمل طوال السهرات وأيام الآحاد في سائر أيام الأسبوع: تقوم بتنظيف الغرف، والمساعدة في هندام السيدة ديلمي والولدين، وتحضير الطعام ورفع الصحون وجليها.

وكان غريبوي في أويقات فراغه يلاعب الولدين فيسليهما بسذاجته، لكنه أحيانا يزعج السيدة ديلمي، لأنه كان يبالغ بهفواته، ولم يكن يمر يوم الا ويكسر صحنا أو يرتكب هفوة. وكان العمدة متسامحا معه، فيشكره غريبوي بنظرة حنان وامتنان. ذلك أن العمدة، منذ البدء، لاحظ طيبة غريبوي واندفاعه وحنانه. وهي صفات تخفف من الثورة على هفواته التي راحت تخف تدريجيا مع اعتياده على الخدمة، مما اكسبه ثقة ومهارة. وغير مرة تواطأ العمدة مع كارولين على اخفاء هفوة عن السيدة ديلمي يكون ارتكبها غريبوي. فذات يوم، كسر الولد المسكين إناء كان يحمله ليضع فيه زهوراً، واحتارت كارولين كيف تواجه ردة فعل سيدتها. فما كان من العمدة، وهو شهد الحادثة، الا

ان ذهب عند تاجر الخزف لاستبدال الاناء المكسور، فاشترى آخر شبيها تماما بالمكسور وحمله الى غريبوي وكارولين المروعين. فشكراه بفرح وبساطة وحنان.

وذات يوم، أعلنت كارولين لشقيقها عن عشاء احتفالي يستوجب السرعة في التحضير ومد المائدة بحسب الأصول.

غريبو

وماذا تعنين بـ «بحسب الأصول»؟

كارولين

أعني مراعاة الأصول أكثر من المعتاد. أي أن تختار الصحون غير الملوثة، وتمسح الآنية كلها سلفا كي لاتضيع وقتك بمسحها خلال العشاء، وتزيد صحون التحلية، وتضع الحشيش تحت الفاكهة، وتجعل الترتيب جميلا وأنيقا يرضي السيد والسيدة ديلمي.

غريبوي

السيد دائما راضٍ. لاهم معه. اما السيدة فدائما غير راضية. انها...

كارولين

صه. قد تسمعك.

غريبوي

ولو سمعتني وسألتني، أقول لها الحقيقة. مهما فعلت لها، تقابلني بالتوبيخ. الم نجن غضبا. منذ ايام. لأنني ربطت منقار الببغاء بخيط؟

كارولين

غضبت لأن الببغاء كانت ستموت جوعا بسبب فمها المكموم وعجزها عن الطعام.

غريبوي

وماهذا الهم؟ طير لعين يردد دائما ماأقوله، ويسخر مني في الصباح والمساء، وينقرني في ساقي حين أعمل، ويثيرني ويؤخرني عن آتمام عملي في حينه.

كارولين

ماذا تقول؟ وهل الببغاء تفكر وتخطط لكل هذا؟

غريبوي

أجل. لو كانت حيوانا كسائر الحيوانات لما كانت تتكلم وتقول لكل من يأتي او يمر في الشارع: «غريبوي أبله. آه ما أشد بلاهته. غريبوي ساذج. واذا سألها أحد: «من ضربك ياجاكو؟ من نتف ريشك»؟ تجيب بلؤم وخبث: «غريبوي. آه مسكينة جاكو. ضربها غريبوي. ومنذ أيام أصابني زكام ورحت أعطس، فكانت تسخر مني وتقلدني. عوض أن ينتصر الولدان لي، اخذا يضحكان، وكذلك والدهما. لم أعجب من تصرف السيدة ديلمي، لكنني جرحت من تصرف السيد ديلمي الذي يدعي أنه صديقي، وكان عليه أن يخرس الببغاء اللعينة ويزجرها. لم يتصرف كصديقي، بل انحاز الى خصومي. وبعد العشاء، لاموني لأنني ربطت منقارها بخيط. حاولت تبرير عملي، فلم يصغوا الي. وعبثا قلت لهم انني فعلت ذلك لأنها كانت تزعجني وتقفز علي وتنقرني حتى جرحتني ونزفت. فانتهرتها: « ايتها اللعينة، ألانك تثيرين ضحك أسيادي، تظنين أنك الأقوى»؟ وهجمت عليها، وأمسكتها بعنقها وكممت منقارها قبل أن تستغيث. ورحت أنا أضحك منها وأسخر.

هنا الرسم ص ١١٧ في الاصل

كارولين

مسكين أنت ياغريبوي.

غريبوي

مسكين... ارايت أنني اثير الشفقة؟

كارولين

دع هذا الآن. واذهب وهيئ للعشاء وللتحلية بعده.

خرج غريبوي وهو يغني طربا، تتبعه كارولين بنظرها، ثم ارتدت الى

الفرن تمسح بمنديلها دمعة نفرت من عينها رغما عنها. وراحت تتمتم لوحدها:

كارولين

مسكين أخي! عبثا اسكته وأساعده وأحسّن في تعابيره، ومازالت سيدتي تعتبره متخلفا. لم يعد يسمعني كما من قبل. بات غضوبا، عصبي المزاج. هذه الببغاء تثير أعصابه. أخشى ألا تعود سيدتي تتحمله بعد وقت. وربما، لولا سيدي العمدة، لكانت طردته... واذا ماقررا طرده، لن أبقى بدونه. وسأعود من جديد أبحث عن عمل يقيتنا.

وانكبت كارولين على عملها: تهيئ اللحم، وتغلي القدر، وفي الوقت نفسه ـ اذ تتابع الطبخ ـ تكمل ثوبا للسيدة ديلمي، تريد أن تلبسه للسهرة. وكذلك غريبوي، أكب على عمله مهيئا المائدة. ثم أخذ يتمتم لوحده:

غريبوي

والآن، كيف أصمم تنسيق التحلية؟ هي ذي الصحون والأكواب والمناديل والملاعق والشوك والسكاكين. قالت لي كارولين أن أهيئ جيدا للتحلية، وأن أضع الحشيش تحت الفاكهة. ولكن لا حشيش لديّ هنا، ويجب أن آتي به من الحديقة.

ونزل غريبوي الى الحديقة، ثم عاد بحزمة من الحشيش فرحا، وهو يتمتم من جديد:

غريبوي

والآن الى العمل. ماذا اشترت السيدة للتحلية؟ ها.. تفاحا.. اجاصا.. مشمشا.. محلى.. خوخا محلى.. آ آ، هذه المحليات المعصورة هي أكثر تعقيدا لوضعها على الحشيش.. فكيف أتصرف؟ العصير سيزعجني. (وبعد لحظات تفكير:) ها.. وجدتها.. أضع حشيشا في طبق الفاكهة، ثم أفرغ المحليات وعصيرها على الحشيش. هاها.. عظيم. آه، ان

البسكويت والمعكرون (اقراص حلوى باللوز والسكر) والجوز واللوز والكعك المحلى والحلويات الاخرى، أخذ يرتب الكل على الطاولة. وإذ طرب للذوق والمذاق في مانجز، راح ينظر الى الطاولة بانشراح، ويدور حولها متمتما:

غريبوي

شيً ما، ينقص في وسط الطاولة. شيً مرتفع. مايمكن أن يكون؟ آ..

اصـــابعي مدبقــة. هذا الحشيش امتص كل العصـــير. والآن، الى الخوخ.. هه! انتهى كل شيً: يبدو الترتيب جيدا. ولكن... ماهذا؟ نمل؟ آه. انه النمل الذي كان متغلغلا في الحشيش، يسبح الآن على وجه العصير. كيف أخرج النملات بدون أن تعضني في اصبعي؟ ماأزعج النمل! فلأكمل ترتيب التفاح والاجاص.

حين أنهى غريبوي ترتيب الفاكهة، ووزع على مختلف الصحون:

عرفت وهرع الى الببغاء، فتناول المجثم الذي كانت تنام عليه، ووضعه بهدوء على الطاولة. ثم تناول رزمة حشيش وزنره بها بشكل هرم، على رأسه جاكو النائمة. وفكر: ليس أجمل من هذا على طاولة. سأمنعهم من الدخول الا معاً ليندهشوا في لحظة واحدة. ثم خرج وأقفل الباب ووضع المفتاح في جيبه.

دخل المطبخ، فلفت كارولين وجهه المشع.

كارولين

مابك؟ لم أنت طرب هكذا؟

غريبوي

لي مايبرر طربي. سترين ترتيبا على المائدة لم تري مثله في حياتك.

كارولين

متأكد؟ ألم تقم بما سينقلب عليك؟

غريبوي

الا اذا كانت الأفكار الطريفة والجديدة تؤذي صاحبها.

كارولين

تبدو مترنحا.. قل لي ماذا فعلت؟ أو أصعد أنا وأعاين.

غريبوي

اصعدي. لكنك لن تري شيئا.

كارولين

كيف لا أرى شيئا، وعلى الطاولة كل شيْ؟

غريبوي

لن ترى لأنك لن تستطيعين الدخول. فالمفتاح في جيبي.

كارولين

ولماذا أخذت المفتاح؟ عد فورا وأعده. لعل السيدة أرادت الدخول.

غريبوي

لن تدخل. أنا أمرت بذلك.

كارولين

مستحيل. ستثير غضبها. هه، ها هي تناديني. عد بسرعة، وأعد المفتاح.

غريبوي

أرجوك، كارولين، امنحيني فرصة مفاجأتهم. انها مفاجأة عظيمة.

كارولين

كما تشاء. ولكن أخشى أن تكون ارتكبت هفوة أو تركت نقصا.

غريبوي

أبدأ. سترين.

كارولين

انتبه الى القدر على النار، فيما أصعد وأساعد السيدة في ارتداء ثوبها.

وخرجت كارولين تاركة غريبوي يحلم بمفاجآته. لم يتسن للسيدة ديلمي التحقق مما أنجزه غريبوي، لأنها لم تكد تنهي ارتداء ثوبها حتى استقبلت ضيوفها، وبينهم: السيدة غريبو، السيدة لودو، والسيدة بيرون.

بعد لحظات، جاء غريبوي يعلن ان المائدة جاهزة، فدعت السيدة ديلمي ضيوفها للانتقال الى غرفة الطعام. انتقلوا، يتبعهم غريبوي عن قرب، ليراقب دهشتهم. وبالفعل، كان لكل شخص ملاحظة ايجابية حول تنسيق صحون التحلية ووفرتها. لكن غريبوي كان ينتظر كلاما آخر. فيما هو واقف مكان جاكو الخالي.

السيدة غريبو

لم هذا الهرم من الحشيش؟ ماذا تريدين أن تضعي فيه؟

السيدة ديلمي

لاشئ. أنا أيضا لم أفهم. لم أره قبل الآن.

السيد ديلمي (متوقعا مفاجأة من غريبوي)

ربما للاشارة الى وسط الطاولة.

السيدة ديلمي (بحدة)

انها حماقة من غريبوي. لم كل هذا الحشيش ياغريبوي؟ تكلم. أجب. ألم تسمع سؤالي؟

غريبوي (مرتبكا أمام سيدته ومستنجدا بسيده)

عفوا، سيدتي.. فكرت.. إذ كان ينقص في وسط الطاولة.. تتذكرين، سيدتي، أن سيدي قبل أيام كان يريد أن يشتري، ولكنك وجدت الثمن باهظا يومها، ثم...

السيدة ديلمي (بنفاد صبر)

ثم ماذا؟ وبعد؟

غريبوي

فكرت.. لو كانت جاكو معي، سيكون الوقع أجمل. وحين وضعتها هنا، أردت بذلك تكريمها وتكريم سيدتي أيضا، إذ هما سيداي، ولهما الفضل الأكبر علي. وجاكو، مسكينة، طير بائس. قد تظن سيدتي أن ليس من المستحب وجود عدو شرس في البيت. فليتفضل حضرات الضيوف وينظروا: لقد بالت على الشرشف، ونقرت اللوز، وأفسدت

التفاحات، وهشمت الاجاص، وشوهت ترتيب صحون التحلية مثلما كنت نسقته. فليعذرني سيدي وسيدتي، ولكن.. لا أتحمل سقوط ثقتهما بي بسبب هذا الطير المشؤوم. واحد منا فقط يجب أن يبقى في هذا المنزل. أنبه سيدي الى هذا، وإلا...

السيد ديلمي

غريبوي.. اهدأ. لاتخف: سيبقى العشاء لذيذا، وتنسيقك التحلية جيدا. فلننس جاكو لكن لننصرف الى الحساء الذي ننتظره وسوف تقدمه لنا بنفسك.

غريبوي

أنا ممتن أن يعاملني سيدي بصداقة. ولسيدي علي حق الخدمة. لذلك سأقدم الحساء بكل سرور.

ونسي غريبوي حزنه وهو يقدم الحساء بحيوية ورشاقة لم تفسدهما أية هفوة. ولكن، لدى تقديم الفاكهة المحلاة، قال غريبوي لسيدته إنه سكب عصيرها على الحشيش ثم وضع فوقه حبوب الفاكهة السكرية،

فانفجرت السيدة ديلمي غضبى، وانهالت على غريبوي بأقسى النعوت البشعة، وسط ضحكات السيدات غريبو ولودو وبيرون.

غريبوي

أنا أرفض أن تسخرن مني يا سيدات. أقبل انتقادات سيدي وسيدتي فقط، ولكن ضحككن يثيرني وأرفضه.

السيد ديلمي (محذرا)

غريبوي، تنسى أنك تخاطب صديقات زوجتي...

غريبوي

صديقات !!. ماشاء الله !!. اذا سمحت، سيدي، أن أردد على مسمعك ماقلنه لي قبل ثلاثة أشهر حين علمن بأننا في خدمتك، تعرف عندئذ كم هن..

السيدة غريبو (مقاطعة غريبوي بحذر)

رجاءً، سيد ديلمي، لاتنهر هذا الولد المسكين. كلامه لايمكن أن يجرحنا. وهل هو يعي مايقول؟

غريبوي

نعم. أعي جيدا ماأقول. وسترين حين سأروي حرفيا ما...

السيد ديلمي (بحزم)

غريبوي، كفى. واحمل لنا القهوة الى الصالون.

انتقل الجميع الى الصالون. وكتم غريبوي غيظه. وحين روى لشقيقته ماجرى، تنهدت، ولم توجه اليه أية تهمة.

عند المساء، لم تعلق السيدة ديلمي على الموضوع. ومع الصباح، استعاد الشقيقان عملهما كالمعتاد.

العصفوران

كانت كارولين وشقيقها يكنسان الصالون. تعب غريبوي فتمدد على أحد المقاعد. دق جرس الباب. لم يتحرك غريبوي. دق ثانية، فاستغربت كارولين:

كارولين

غريبوي، ألم تسمع جرس الباب؟ قم افتح.

غريبوي

لااستطيع. لاوقت لدي.

كارولين

كيف لاوقت لديك؟ ماذا تفعل؟

غريبوي

استريح. عندي، بعد ربع ساعة.

كارولين

اي هراء هذا؟ ماهذا المزاح؟

دق الجرس ثالثةً، باقوى من المرتين السابقتين، ومع هذا لم يتحرك غريبوي. تطلعت اليه شقيقته بحزن، وهزت بكتفيها وذهبت تفتح الباب وهي تتمتم: «مسكين، لاأمل في تأهيله للعمل». وفتحت الباب فدخل خادم حاملا قفصا.

الخادم

آنستي، عذراً أنا جديد في هذه البلاد، ولست متأكدا من أن أكون هنا في منزل السيد ديلمي. هذان نغران (عصفوران) لولدي السيدة ديلمي. هل تتفضلين بتسليمهما اياهما من قبل سيدتي بيارفون؟

كارولين

نعم، هذا واجبي. بلى: هنا منزل العمدة ديلمي.

الخادم

لم ياهذا تضحك هكذا بخبث؟ تبدو أحمق حقيقيا.

غريبوي

أبدو ماأبدوه. ومادخلك أنت؟ أنا لاأخاطبك. فلماذا تتوجه الي بالكلام؟

الخادم (ساخرا)

عفوا سيدي. لم أقصد ازعاجك. كنت أفكر بصوت عال. هذا كل شيء.

غريبوي

حسنا عذرتك في المرة المقبلة حاذر أن تكرر هذا.

وخرج الخادم ضاحكا مشيرا بحركات تدل على اقتناعه بأن غريبوي معتوه. وهذا ما أغضب كارولين.

كارولين

لماذا خاطبت هذا الخادم بهذه الطريقة وأنت لاتعرفه؟ هو لم يقل

مايثيرك.

غريبوي

الا يثيرني اتهامه إياي بالخبيث والأحمق، وتفكيره بما لم يتجاسر على قوله جهارا؟

كارولين

انك تتشاجر مع الجميع، وسيدانا لايحبان هذه المشاجرات. وانت، منذ فترة، تخاصم كل أحد ولاتتحمل أحداً. بت حميما مع العمدة، وفظاً مع زوجته.

غريبوي (متأففا)

ولماذا أتحمل أنا مالايتحملانه؟ اذهبي وانعتيهما بالغباء والحماقة والسذاجة،

كما هما ينعتانني طوال النهار، وانتظري ردة فعلهما. لم أعد أحتمل كل هذا.

كارولين (محاولة تهدئته)

لاتثر ياحبيبي. كل هذا من المزاح. لايقصدان منه الاساءة اليك.

غريبوي

صحيح؟

كارولين

طبعا صحيح. فلنكف عن هذا الموضوع، وأنجز أنت تنظيف الصالون لأنصرف أنا الى تهيئة الفطور.

أخذ غريبوي يمسح الغبار، حتى بلغ القفص، فتناوله وأخذ يخاطب العصفورين:

غريبوي

مسكينـان! يضجـران في القفص ولايستطيعان الخروج منه. انهما يثيران شفقتي. سأقوم من أجلهما ببادرة كريمة وأدعهما يطيران في

الغرفة فيفرحان.

وضع غريبوي القفص على الطاولة، وفتح بابه، فخرج منه العصفوران وحطا على عمود ستارة النافذة، وأخذا يغردان. فرح غريبوي فأخذ يصفق بيديه للزقزقة الجميلة، فخاف العصفوران وطارا الى نافذة مشقوقة قليلا. هلع غريبوي وصرخ: «لا. لا. اياكما أن نطيرا الى هنا. مهلا. مهلا لأقفل النافذة»...

لكن العصفورين، اذ طالعهما المدى والهواء والفسحة الخضراء، طارا الى الخارج بعيدا بعيدا. فبقي غريبوي متجمدا من الذهول.

غريبوي

أيها الفاسقان! خدعتماني. كيف لم تقدرا لي بادرتي؟ سألتقطكما وأؤدبكما. فلأركض فوراً الى مشبك الحديقة ولأحكم إغلاقه فلا يمكنهما فتحه للخروج الى الريف.

وخرج غريبوي قافزا الى الحديقة، ليعود بعد لحظات لاهثا. في هذه اللحظة، دخلت اميلي الصالون فرحة تبحث عن القفص.

اميلي

أين القفص الذي... آ، هاهو. ولكن... أين العصفوران؟

والتفتت الى غريبوي مذعورة.

اميلي

غريبوي، ألم يكن في هذا القفص عصفوران؟ أين هما؟

غريبوي (بغباوة مقصودة)

بلى، آنستي. والا مانفع القفص بدون عصافير؟

اميلي

وأين هما؟ لاأراهما.

غريبوي

اطمئني. لم يذهبا بعيدا.

اميلي

أريدهما الآن. ائتني بها.

غريبوي

اذا كنت تريدينهما، عليك أن تنتظري. العصافير ليست كالانسان.
فهي لاتفهم. مهما ناديتها وقلت لها فلن تفهم. لآقول لك هذا كي لا ألبي
طلبك، ولكنني لاأعدك بتلبية العصفورين طلبي بسرعة.

اميلي (بسخرية)

لا أطلب ان تعدني بذلك، ولافهمت أين العصفوران اللذان أرسلتهما
الي نسيبتي لوسي.

غريبوي

انهما يتنزهان، ياآنستي. تعبا من السجن في هذا القفص، فخرجا في
جولة. يجب أن نفهم وضعهما.

اميلي

وأنت أطلقتهما؟

غريبوي

طبعا ياآنسة. ومن سواي سيشفق على هذين الطيرين المسكينين؟
أخرجتهما، ولكنهما لن يتأخرا بالعودة لأنني أقفلت مشبك الحديقة،
وسيعودان حتما حين يكتشفان المشبك مقفلا.

أميلي (بنفاد صبر)

أنت أبله أكثر من أي وقت آخر. لاتقدم إلا على هفوات.

غريبوي

ولكنني قلت لك انني أقفلت المشبك. قمت بما استطعت استدراكه.
وماذا كنت تريدينني أن أفعل؟ أن أطير في إثرهما؟ وهل أنا لي أجنحة؟
هذه قلة وفاء منهما. هما يعرفان جيدا أن هربهما سيسبب لي توبيخا.
وأعرف النتيجة سلفا: الكل صوت واحد ضدي. لم أعد أحتمل كل هذا.

ببغاء وعصفوران في التآمر علي.

وانهار غريبوي على الكرسي باكيا متفجعا. فحن قلب اميلي، وتقدمت منه:

اميلي

ياغريبوي المسكين، لاتبك، هكذا، لأقل سبب.

غريبوي (شاهقا)

لأقل سبب؟ وهل تسمين هذا أقل سبب؟ كل ماأقوم به ينقلب ضدي، ولاأنفك أسمع: «غريبوي أبله ! ماأغباه». حتى شقيقتي، أقرب الناس الي، باتت تقول هذا. وهل تظنين أن هذا تحت الاحتمال؟ وهل أقدر، بعد، أن أتلقى إهانات بسبب طيور وحيوانات؟ لا. انني اتعذب كثيراً. لم اعد أدري ماأقول. ولاماذا أفعل. أحس برأسي يهدر.

وكـان غريبـوي نهض واقفا، فراح يذرع الغرفة، ويضرب الأثاث ويلكمه في ثورته وينتف شعره.

فانسحبت اميلي، مذعورة، تنادي كارولين.

القفص

حين أمسى غريبوي وحده، انهار على كرسيه.

علمت كارولين بالأمر من اميلي، فدخلت حذرة، ووجدت غريبوي بدون حراك فتقـدمت منه بدون ضجة تريد لمس يده. فجأة قفز فصرخت كارولين مذعورة.

غريبوي

ماذا بعـد؟ تظنينني مستـاء منـك؟ اتعتقدين أنني حقود؟ أم جئت توبخينني كالجميع؟

كارولين (بحنان)

لاياأخي. لاياحبيبي. انت تعرف كم أحبك. اذا أوبخك أحيانا، فلصالحك.

غريبوي (ببأس)

لصالحي؟ أتخلى عن صالحي اذا كان ثمنه التوبيخ الدائم. فقدت صوابي من هذه المعاملة.

كارولين

إسمع ياأخي. أتذكر يوم كسرت كوباً بمكنستك؟

غريبوي

وبعد؟

كارولين

بعدها صرت أكثر انتباها.

غريبوي

لأنك وبختني حتى بكيت ولم أتناول يومها فطوري، وكان كعكة أحبها. لن أنسى تلك.

كارولين

الهفوة

غريبوي

لا. بل الكعكة.

كارولين (باسمة)

سيان. المهم أنك لم تكسر بعدها شيئا بمكنستك. لأنني يومها وبختك.

غريبوي

وطبعني ذلك بذكرى سيئة.

كارولين

أرأيت؟ اذن، يجب ألا تحقد أو تثور اذا تلقيت توبيخا، بل أن تصمم على الانتباه أكثر، فتوفر عنك التوبيخ والتأنيب.

غريبوي

ماتقولينه صحيح. تعالي أقبلك. طريقتك في التعاطي معي، تصحح

اخطائي من دون أن تثيرني، بل يهتف صوت في داخلي: «لاتغضب شقيقتك. انها تحبك. دعها تقول ماتشاء».

كارولين (بحزن وحنان)

نعم ياغريبوي. اني أحبك. بل انا الوحيدة في حبك. اقسمت لأمي قبل وفاتها بأن أهتم بك واحميك وأحبك كما كانت هي تحبنا. ووفيت بقسمي، فالتزمت بك هنا في هذا المنزل، ولن أبقى فيه بدونك اذا تعرضت للطرد. ولكن، عندئذ، ماذا سيكون مصيرنا؟ لهذا تحزنني عندما ترتكب هفوة قد تعرضك للطرد وبعده للبرد والجوع.

غريبوي (بعدما حن قلبه)

ياكارولين الطيبة. سأسعى جهدي. أؤكد لك. ولكن، دائما ينعتونني بالأبله، وهذا يزعجني. لم أعد أدري ماذا افعل، وخاصة حين تأخذ جاكو اللعينة تسخر مني.

كارولين

ياغريبوي، قم بعملك ولاشئ سواه. اكنس، امسح، حف، نظف، ولكن ماكان دخلك في اطلاق العصفورين؟ لم فعلت هذا؟

غريبوي

أشفقت عليهما. تصوري أننا مسجونان مثلهما في قفص، وبهذا الحجم الصغير.

كارولين

هما اعتادا على الحياة هكذا مسجونين. وبعد، فهما لايفكران بكل هذا. ليسا مثلنا.

غريبوي

هذا صحيح. ليسا مثلنا. أنا أفكر بمنطق. أقول لنفسي: ماكان يمكن أن أتصرف مثلهما فأسبب التوبيخ لغريبوي. ولكنت رجعت الى القفص فور اصطدامي بالمشبك المقفل. تعرفين؟ ذهبت لأقفل المشبك كي

امنعهما من الافلات. وكانت فكرة ممتازة لو تحققت. في هذه اللحظة دخلت السيدة ديلمي ومعها اميلي.

السيدة ديلمي (بصوت حاد)

غريبوي

غريبوي (بهدوء)

نعم سيدتي

السيدة ديلمي

لماذا أخفت أميلي بتصرفاتك وصراخك؟ لماذا فتحت باب القفص؟ لماذا أفلت العصفورين؟ ولماذا تنظر الي هكذا كحيوان، ولاتجيب؟

غريبوي (بتحبب)

أوه، سيدتي. لاأسمح لنفسي بالنظر الى سيدتي كحيوان. أنا أحترمك جدا. وسيدتي على ذكاء أقدره فيها كثيرا.

السيدة ديلمي

ماذا تقول؟ كارولين، ماذا يعني بما يقوله؟

كارولين (بارتباك)

سامحيه ياسيدتي. لم يفهم تماما ماقلته له. وهو متضايق لأنه أخاف آنستي. كان حزينا على تسببه بافلات العصفورين، فظنت آنستي. أنه غضبان. هو يعرف تماما مايترتب عليه من احترام لأسياده فلا يمكن أن...

غريبوي (مقاطعا)

طبعا أعرف ما علي من احترام لأسيادي، ولايمكن أن...

كارولين (بهمس)

اسكت أنت. ستفسد كل ما أحاول استدراكه.

السيدة ديلمي

كل هذا مقبول. ولكن العصفورين طارا.

غريبوي (مسرورا)

سامحيني سيدتي. ولكنهما لن يطيلا غيابهما فأنا اقفلت المشبك.

السيدة ديلمي

المشبك؟ وماذا يفيد، مقفلا كان أم مفتوحا؟

غريبيوي

وهل تنسين، سيدتي، أن قوة العصفور لاتتعدى قوة الذبابة، وأن العصفورين لو عملا معا على فتح المشبك، فلن يستطيعا؟

السيدة ديلمي (بغضب)

ولكنهما، ياأبله، يطيران فوقه. كارولين، ، ان أخاك فعلا أحمق ومتخلف عقليا. لقد نفد صبري منه. خذيه من هنا وتصرفي به. لم أعد أريده في هذا البيت.

كارولين

حالما تأمر سيدتي بتسديد مالي من بدل أتعابي أغادر فورا، رغم كل أسفي على مغادرة هذا البيت.

السيدة ديلمي

أنتِ؟ أبدا. لن أدعك ترحلين. أنا ممتنة جدا من حسن خدمتك. انما غريبوي هو الذي لم أعد أريده هنا. أريد أن يرحل.

كارولين

وأنا معه. وعدت أمي قبل وفاتها ألا أتخلى عنه لوحده. وحين دخلت في خدمتك كنت آمل أن تتحملي... سذاجاته. وأنت تريدين طرده فمن واجبي أن أرافقه. مسكين! وهل من حياة له بدوني؟

غريبوي

آه ياكارولين كم أنت طيبة . طيبة جدا. لاتقلقي. أرى أن السيدة بسببي ستطردك. ولكنني، أنا نفسي، لن أذهب من هنا. وسأبقى عنوة. سأكنس وأمسح الغبار وأنظف كما قلت لي. ولن أطلق العصفورين بعد

اليوم. هكذا، تبقين هنا. وأين تذهبين؟ وأين سنعيش؟ وكيف؟ لن يسمح الله بخروجك من هنا، وأنت مرتاحة في الخدمة هنا. ألست كذلك؟

وحالت دموع كارولين دون جوابها. فقبلت أخاها مرددة «مسكين أخي. مسكين». وأخذ غريبوي يشهق أيضا باكيا. فبقيت السيدة ديلمي حائرة.ثم دنت من كارولين.

السيدة ديلمي

كارولين، لاتبكي. تسرعت بكلامي في لحظة نفاد صبر. بلى. ستبقين، ومعك غريبوي، شرط ألا يلمس الا مكنسته وريش الغبار وألا يقوم بأي عمل إلا الحف والكناسة وتنظيف الغرف وكل مايتعلق بعمله.

كارولين

أشكرك سيدتي على هذا النبل، وأعدك بتجنب كل مايزعجك...

غريبوي

أشكرك سيدتي على هذا النبل، وأعدك...

كارولين

أسكت أنت. ولاتجب.

غريبوي

وكيف لا أشكر سيدتي مادمت أنت تشكرينها؟ ولم لا أقول لسيدتي اني أرضى بشروطها وأقسم ألا ألمس الا المكنسة وريش الغبار، ولاأقوم الا بالحف والكناسة وتنظيف الغرف؟

أخذت السيدة ديلمي تضحك، وبدت كارولين قلقة من صراحة أخيها.

كارولين

هل تريدينه ينصرف الآن الى تنظيف الغرف؟

السيدة ديلمي

اجل. وليأخذ كل مايحتاجه لذلك. له حرية التصرف.

غريبوي

وكل ماأحتاج لطعامي وهندامي ونومي؟

السيدة ديلمي

نعم. لاأمنعك الا من أخذ مالا يتعلق بعملك.

غريبوي

اذن، اقسم من جديد، وتشهد علي كارولين.

وخـرجت السيدة وهي تضحك عاليا، وغريبوي ينظر اليها ويضحك أيضا. فرك بيديه وأخذ يقفز جذلا.

غريبوي

صححت جميع أخطائي وأقسمت مرتين للتأكيد. أليس هذا كافيا؟

كارولين (منهمكة)

عظيم. والآن، إيـاك أن تنسى وعـدك. خذ مكنستك وانصرف بها الى الغرف، ولاتلمس شيئا آخر.

القفص

خرجت كارولين وبقي غريبوي وحده. فكر قليلا، ثم أخذ المكنسة.

غريبوي

وهل معقول الا ألمس شيئا؟ وأنا الذي كان يحلم... (وفيما هو يحرك المكنسة، ضرب بها القفص فوقع) هه. مأساة جديدة أخرى. عاد الشؤم يلاحقني. هل يمكن الا الم القفص اذا كنت لاألمس شيئا؟ هذا القفص اللعين، له أربع أقدام، ولايمكنه الوقوف منتصبا، فيما أنا أقف ولاأقع وليس لي سوى قدمين. هذا مزعج. ويعيق عملية الكناسة. أغرب عن وجهي ياقبيح. (وضرب القفص بالمكنسة، فتدحرج حتى وسط الغرفة) هه. ها هو في وسط الغرفة. وفي مكان بارز، ليسبب لي توبيخا.

لن اسمح لقفص أن يسيطر علي. سأدحرجه بالمكنسة حتى الستارة، وحين تعود كارولين سأطلب منها أن تلمه لأنني وعدت بألا المس شيئا.

دخلت اميـلي وشقيقهـا جورج فيمـا غريبـوي يدحـرج القفص بضربات المكنسة، فتأملته مدهوشة، وهرعت اليه توقفه.

جورج

أي قسم؟ وبم التزمت؟

غريبوي

إنــه قسم مقدس. سيدي، أقسمت لأمك ها هنا بألا ألمس شيئا غير المكنسة وريش الغبار وفرشاة الحف.

نظر جورج الى اميلي التي كانت تنظر الى غريبوي، فتبينت فيه وجها أخافها وجعلها تهرع الى الخارج صارخة: «غريبوي مجنون، كارولين، إحضري حالاً.»

دخلت كارولين مسرعة مذعورة، فألفت غريبوي مستندا الى عصا المكنســة مبتسما من شفقة، وجورج بين الضحك والصراخ. توجهت كارولين مباشرة صوب أخيها.

كارولين

وماذا الآن ياغريبوي؟ بم أخفت الآنسة اميلي؟

اميلي

غريبوي، ماذا تفعل؟ ستكسر قفصي الجميل.

غريبوي

آ، آنستي، ليس الذنب ذنبي. وقع، وهو في الممر يعيق المرور. أحاول إزاحته الى الزاوية.

جورج

ولم لاتلمه عوض دحرجته هكذا؟

غريبوي

لاأستطيع، سيدي، أقسمت وسألتزم بقسمي.

غريبوي (بجلال)

لم اخفها. لكنها لم تفهم انني ملتزم بقسمي، ولايمكنني أن الم هذا القفص الذي وقع بضربة غير مقصودة من مكنستي.

كارولين (مذهولة)

ولماذا لايمكنك لمه؟

غريبوي

تعرفين جيدا أنني أقسمت مرتين على ألا ألمس شيئا الا...

كارولين

أعرف، أعرف. ولكنك نسيت أن سيدتي قالت أيضا:«وكل مايتعلق بعمله».

غريبوي (ضاربا جبينه بكفه)

آ.. صحيح. نسيت هذا. كم أنت مفيدة لي. «وكل مايتعلق بعمله». صحيح قالت ذلك. وأنا نسيت ولم أتجاسر على لم هذا القفص. كم أنا أبله، ساذج، أحمق.

وأخذ غريبوي يضحك عاليا. لم يفهم جورج وخرج يطمئن شقيقته التي كانت متوقفة في احد ممرات الحديقة. وبقيت كارولين وحدها مع شقيقها.

كارولين

غريبوي، أنا أيضا أطلب منك وعدا. إعمل دائما معي. كلما كان عندك عمل، نادني فنقوم به معا. وأنت تأتي الى مساعدتي كلما كان عندي عمل، سواء في المطبخ أو في الغرف. هكذا لاتقوم بهفوة، ولاتتلقى توبيخا، لأنني سأكون معك لأنصحك وأرشدك. هل توافق؟ وهل تعدني؟

غريبوي

نعم. أعدك ياأختي الحبيبة. أنت عصمتي الوحيدة في هذه الدنيا.

أشعر أن المنطق ينقصني وأنني لست كسائر الناس. لكنني سأحاول ألا أرتكب هفوات بعد اليوم، فأرضي السيدة، وأرضيك أنت بشكل خاص.

وتقدم غريبوي، فقبل كارولين على خدها ويديها.

كارولين

عظيم. أتقبل وعدك، وأعرف أنك ستفي به. فلننه تنظيف الصالون معا، ثم ننتقل الى المطبخ حيث تساعدني على إنجاز الغداء وغسل الصحون.

جاكو المسكينة

انتهت كناسة الصالون، فتوجه الشقيقان الى غرفة الطعام لتهيئة المائدة. وما ان وضعا الشرشف على الطاولة، حتى سمعت كارولين صوت سيدتها.

غريبوي

ستوافينها؟

كارولين

طبعا. هذا واجبي. سأساعدها في هندامها واللباس. لهذا تناديني.

غريبوي

وأنا، ماذا أفعل؟ وعدتك ألا أعمل وحدي.

كارولين

نعمل معا حين تتاح لنا الفرصة. ومستحيل أن تتاح لنا دائما.

غريبوي

اذن يمكن الحنث بالوعد لدى قولنا «مستحيل»؟

كارولين

نعم، وكلا. علينا أن نرى، قبل، ونفكر... ونتصرف بما هو أفضل.

غريبوي

واذا كان الأفضل ليس هو الملائم؟ هذا أنا، أقوم بالأفضل فيأتي غير ملائم. وضعي الببغاء في وسط الطاولة، كان أفضل حل وجدته، فلم يكن ملائما. كما لو انني ارتكبت حماقة.

السيدة ديلمي (من غرفتها)

كارولين.. أين أنت؟ ألا تسمعين؟

كارولين

ها أنا آتية، سيدتي. أصل فورا. غريبوي، ضع الصحون على الطاولة وانتبه الى الكسر. وخرجت كارولين راكضة، فيما غريبوي يتبعها بعينيه.

غريبوي

سأسعى الى الأفضل، فهل سيكون هو الملائم؟

صوت (من خلف الستارة)

غريبـوي... هاهـاهـا... غريبوي أبله. هاهاها... غريبوي أحمق... هاهاها. غريبوي متخلف عقليا.

غريبوي (ملتفتاً في كل مكان)

من هذا؟ من يتكلم علي هكذا؟

الببغاء

جاكو.. جاكو المسكينة.. ضربها غريبوي.

غريبوي

أ.. هذا أنت ايتها الكذابة، السارقة، الفاسقة ذات الريش. هذا انت وهذا انا. ها نحن الآن وحدنا. فالى كلينا الآن. أيتها الخائنة الماجنة.

واندفع غريبوي صوب النافذة، فكشف على الببغاء التي كانت متشبثة بالستارة، مستعينة بمنقارها ومخالبها. ما ان رأته حتى تسلقت الى أعلى، مرددة: «غريبوي أبله». فطار صواب غريبوي وقفز اليها. لكنها كانت أعلى من قفزته، فلم يمسك الا بذنبها مقتلعا منه بضع ريشاته. وقفز ثانية فهلعت الببغاء وأخذت تصرخ: «النجدة! النجدة! غريبو يضرب جاكو. مسكينة جاكو». وثالثة، كان غريبوي قاس قفزته جيدا فأمسك الستارة بيد، وبالأخرى قبض على الببغاء باحكام فأفلتت من تشبثها بالستارة.

غريبوي

هاها.. أخيرا قبضت عليك ياذات اللسان الخبيث، أيتها الوقحة البكاءة. هذه المرة لن أؤدبك بالكلام، بل بما هو أشد. خذي ماتستحقين.

كان غريبوي يتكلم، وهو ينهال على الببغاء بلكمات من قبضة يده، على ظهرها ورأسها، فيما هي تصرخ بذعر وهلع: «جاكو.. المسكينة جاكو.. ضربها غريبوي». وأخذ غريبوي يشد، أكثر، على عنق الببغاء، وهذه تستغيث أكثر بصوت مخنوق: «النجدة! جاكو المسكينة.. الن...جدة، ال...نج... دة.. جا..كو... المس... كي..نة».

ولم تستطع الاكمال. اختنق صوتها، ففتحت منقارها وعينيها، وارتخى جناحاها. وماهي الا لحظات، حتى كان غريبوي يمسك في قبضته جسدا بدون روح. ولدى تنبهه الى هذا الأمر، أفلتها من يده: «اذهبي الآن، وإياك أن تعودي الى ثرثرتك. هل تأكدت أنني الأقوى»؟ ولم تجب جاكو، فأكمل: «ماذا؟ وتتظاهرين بالموت؟ قومي واغربي عن

وجهي». ورفسها، فلم تتحرك.

غريبوي

هه! مابها! لم لاتتحرك؟ هل تكون... تراني شددت كثيرا على عنقها؟ تبدو ميتة فعلا. (انهار على ركبتيه متوسلا) جاكو. جاكو. كفى تظاهرا بالموت. قومي. سنكون صديقين. أقسم لك. جاكو، ارفعي رأسك. قلت لك أنني أسـامحـك، وسنكون صديقين. (نهض مرتبكا) تراها.. هل تكون .. ماتت مثل أمي؟ ستذهب عندها وتقول لها أنني قتلتها. حتما ستقول لها. انها لئيمة. وستصدقها أمي لأنني لن أكون معها لأقول لها الحقيقة. ولكنني، حين سأموت، سأذهب عند أمي، وأخبرها كل مالا يرضى جاكـو أن أقول حقيقته. والآن... ماالعمل الآن ؟ سيقول الجميع إنني أنا الذي... وستنفجر سيدتي غضبا.. وقد تطرد كارولين بسببي .. آه، ياالهي.. كارولين شقيقتي المسكينة. ماذا أعمل؟ ماذا أقول؟ ها.. فكرة: سيدي العمدة صديقي، وسأطلب نصيحته.

ورفس الببغاء الى ماتحت الستارة، وهرع الى العمدة.

العمدة

مابك، غريبوي، مرتبكا هكذا؟

غريبوي

ثمة مايربك، سيدي. لو كنت تدرك ماذا بي! لكنني لم أعد خائفا طالما أنت صديقي وستحميني.

العمدة

أحميك ممن؟ من الآنسة روز أم السيدة بيرون؟

غريبوي

بل من السيدة زوجتك.

العمدة (عابسا)

هه. الأمر يبدو خطيرا. ماهو؟

غريبوي

كنت، سيدي، أهيئ المائدة للغداء، فسمعت صوتا هالني، ولكان هالك مثلي لو سمعته.

العمدة

وما كان يقول ذلك الصوت الهائل؟

غريبوي

شتائم.. قبائح..

العمدة

وصوت من كان؟

غريبوي

ستعرف، سيدي، مهلا. تلفت حولي، فاذا بي أجد جاكو اللعينة تنهال علي بالكلام المؤذي الجارح، وهي تتسلق الستارة هربا مني بجبن. آه كم كانت جبانة. قفزت اليها، وقبضت عليها من ذنبها، فقفزت الى أعلى تاركة في كفي منه ريشتين. واستمرت تشتمني بقسوة. فقفزت أعلى، وقبضت عليها باحكام، وشددت بها فأفلتت من الستارة، وكنت في قمة غضبي

كما يمكنك أن تتصور. ورحت أضربها بعنف، وهي تصرخ: «النجدة»، وأنا أشد أكثر (العمدة يقوم بحركة انزعاج). مهلاً. لم أشأ أن أدعها تصرخ فيستدعي صراخها سيدتي أو كارولين. شددت أكثر وضربتها بأعنف، فتظاهرت بركونها وكفت عن الصراخ.

العمدة

و... خنقتها؟

غريبوي

عفـوا سيـدي، هي التي اختنقت لشـدة ماارتعشت كأن فيها روحاً شريـرة، حتى أنهـا ـ فور إفـلاتهـا من يدي ـ ماتت. نعم، سيدي،

صدقني. هي التي اختنقت وهي التي ماتت. وهـا انـا جئتـك طالبا نصيحتـك. فماذا تقول؟ بم تنصحني؟ كيف أتصرف ازاء سيدتي؟ ستقول، أولا، إنني أنا الذي قتلتها.

العمدة (بنفاد صبر)

وكيف تريدها أن تقول خلاف ذلك أيها البائس؟ أنت الذي قتل جاكو. أية نصيحة تريدني أعطيك بعد الذي قمت به؟

غريبوي

وأنت أيضا، سيدي، انقلبت علي؟ أنت أيضا تعتبر أنني أنا سببت موت ذاك الطائر الخبيث؟

العمدة

وماذا تريدني أن أقول أو أظن؟ وأية نصيحة تريدني أن أعطيك؟

غريبوي

لايمكنني أن أوحي لك بها. لو كنت أعرف النصيحة سلفا، لما جئت أستشيرك بها.

العمدة

ليس عنـدي ماأقـوله لك. ولست أدري ماذا عليك أن تفعل. ترتكب هفوات وتأتي الي لتغطيتها.

غريبوي

والى من تريـدني أن أذهب ان لم يكن الى صديقي؟ سيـدي، أنت صديقي الـوحيـد في هذا العـالم. عدا كارولين طبعـا، التي تحبني وتسـاندني. لم يقل لي أحد ماقلته لي أنت: «غريبوي سأدافع عنك، وستكون صديقي». ولهذا، سيدي ألجأ اليك.

فيما غريبوي يقول هذا الكلام، كانت عيناه تدمعان. وفوجئ السيد العمدة ببساطة هذا اليتيم المسكين، فأمسك بيده.

العمدة

أحسنت ياعزيزي بالمجئ الي. سأحاول أن أنقذك من هذه الورطة. أين

جاكو الآن؟

غريبوي

تعال معي، سيدي، الى غرفة الطعام.

وإذ وصلا:

غريبوي

هه، هاهي سيدي.

العمدة (ممسكا بها فاذا هي ميتة)

مسكينة جاكو!

غريبوي

هل تأسف لموت عدوتي؟

العمدة

ولكن هذا لايمنعني من أن أبقى صديقك، وسأثبت لك ذلك. أولا، يجب الا تعلم زوجتي بهذا الأمر. هات لي مصيدة الفئران. انها قرب الخزانة. وهات لي معها حبوب الجوز التي في طرف السلك بجانبها.

تناول العمدة جاكو، وأدخل رأسها في مكان معقود من السلك، وشده للايهام بأن الببغاء هي التي سببت خناق السلك على عنقها فيما كانت تحاول بلوغ حبة الجوز في عمق المصيدة. وأوعز الى غريبوي باكمال تهيئة المائدة للغداء، وانسحب الى غرفته.

غريبوي (مصفقا بيديه)

ياللفكرة العظيمة! لقد أنقذتني من غضب سيدتي. ولكن، هل أخفي هذا عن كارولين؟ كلا. لم أتعود أن أخفي عنها شيئاً. سأروي لها الحقيقة كلها.

اكتشاف الحقيقة

أنجـز غريبوي تجهيز المائدة، وهو يفكر ويخطط. وما ان انتهى، حتى دخلت السيدة ديلمي ومعها ولداها ونادت زوجها. وجلس الجميع الى الطاولة. جاء غريبوي بالطعام فبدأ الغداء بسكوت ، نظراً لجوع العائلة. كان العمدة متجهما، على غير عادته، لأنه متحسر على جاكو ومتعب من حماقات غريبوي المتكررة، يريد التخلص منه ولكنه لايريد أن يخسر كارولين التي كان يقدر عملها وخدمتها. وكانت زوجته صامتة كذلك، لأن ثوبهـا الجـديـد الذي كانت مضمـرة أن ترتـديه لبعض الزيـارات، لم ينتـه بعـد. والولدان كانا صامتين، تحت تأثير صمت والديهما. أما غريبوي فكان مرتبكا لانكشاف حقيقة موت الببغاء.

اميلي

غريبوي، أعطني نبيذاً.

غريبوي (ساكبا لها)

تفضلي آنستي.

اميلي

كفى كفى.. الم تر الكأس يطفح؟

غريبوي

لاتغضبي آنستي. سأنقص منه.

وتناول غريبوي الكأس، يفرغ منه في الزجاجة، فدلقه على رأس اميلي وعنقها.

اميلي

آي.. النبيذ على شعري وثوبي. يالهي.. ماهذا الولد الأهوج!

غريبوي

عذرا آنستي. ولكن، لو لم تشكي من الفائض في كأسك لما كان حصل كل هذا.

اميلي

لأنك سكبتَ لي اكثر مما اريد.

غريبوي

صحيح، آنستي، وأنا لاأتهمك، بل أسرد الحادثة كما حصلت. وأعرف أن لايجوز اتهام أسيادي، بل علي أن أخرس.

العمدة

كان عليك ان تخرس فورا، ياابني، قبل ان تبرر عملك.

غريبوي

هذا، سيدي، رأيك أنت. لكن لكارولين رأيا آخر.

جورج

لو سمعتك جاكو لسخرت منك.

غريبوي (مذعورا)

جاكو؟؟؟ آه ياالهي، اذن أنت علمت بأمرها؟

جورج

أي أمـر؟ مابك ذعرت هكذا؟ أمي، أنظري الى وجهه كيف شحب... ورفعت السيدة ديلمي عينيها الى غريبوي، ففوجئت هي أيضا برعب غريبوي. هز العمدة بكتفيه نافد الصبر. وإذ كانت اميلي تتأمل جمود غريبوي، التفتتفرأت الببغاء على الأرض قرب الخزانة

اميلي

هه. هاهي جاكو. فلتشرح لنا ماذا يعتري غريبوي. جاكو... جاكو... مابها لا تتحرك؟ جاكو... قولي لنا ماذا فعل بك غريبوي...

سوى أن سكون الببغاء لفت السيدة ديلمي فنهضت وتوجهت اليها محاولةً إمساكها، ثم متراجعةً عنها بذعر.

السيدة ديلمي

لا.. لا.. انهـا ميتة. جاكو ... ببغائي المسكينة... ماتت... علقت في المصيدة فاختفت... آه ياجاكو الحبيبة... ماتت ببغائي...

وهرع الولدان اليها مذعورين...

اميلي وجورج

جاكو... من قتلها؟؟ من خنقها؟؟؟

عند هذه الكلمة الأخيرة، التفت جورج الى غريبوي الذي، إخفاءً لارتباكه، أخذ يبدل في وضعية الصحون، ويمسح الصحاف ويقطع أرغفة الخبز.

السيدة ديلمي (بحزم وقسوة)

غريبوي... كيف اختنقت جاكو؟؟

غريبوي

كيف تريـدين، سيـدتي، أن أعـرف، وأنت تعـرفين أنها لم تكن

صديقتي كما السيد العمدة صديقي، ولم تكن تودعني أسرارها ولاتخبرني شراهتها التي أودت بها الى مد راسها في المصيدة لابتلاع حبوب الجوز الموضوعة للفئران.

السيدة ديلمي

كنت تعرف، إذن، أنها مخنوقة؟

غريبوي

كيف تريدين، سيدتي، أن اكون أعرف؟ فلتسألي سيدي، يخبرك أننا لم نكن على علم معاً بتحركات جاكو.

السيدة ديلمي

ماذا أيها العمدة؟ لماذا وجهك حيادي هكذا؟ كنت تحب الببغاء، ولاتبدو الآن مفاجأ من موتها. كأنك كنت على علم!

العمدة (مرتبكا)

أنا؟ لا، أبدا. وكيف لي أن اكون على علم؟ ومن يمكن أن يكون أنبأني؟

السيدة ديلمي

غريب كل هذا! لاأظن أن جاكو، بدهائها، تنزلق الى هفوة قاتلة كهذه.

ثم... هذا الرعب على وجه غريبوي الابله، وارتباكه وارتباكك، كأنك تلميذ داهمه معلمه في لحظة حرج... كل هذا يجعلني أشك في أن يكون غريبوي...

غريبوي (في هلع شديد)

سيدي.. سيدي.. لا، أرجوك، أنت صديقي الوحيد.. أنقذني.. أرجوك.. احمني منها. وهرع الى العمدة متوسلا، فأفلتت من يديه كومة الصحون على الارض منطحنة آلاف الكِسَر.

العمدة

أغرب عن وجهي. نفد صبري ويئست منك ومن حماقاتك. خلص نفسك بنفسك. لن أغطي أخطاءك بعد اليوم.

ونزع العمدة فوطته، وقام عن المائدة، مغادرا غرفة الطعام بعصبية.

غريبوي (مذهولا)

هكذا اذن... وأنا كنت أتكل عليه صديقا، يتخلى عني فجأة؟ وهو الذي وضع رأس جاكو في سلك المصيدة... ثم تركني وحدي وينصرف! هل هذا عمل نبيل؟

السيدة ديلمي

ماذا تقول؟ زوجي خنق جاكو؟

غريبوي

أنا لم أقل نه هو الذي خنقها. أنا لاأكذب. ولست نماماً مثل جاكو.

السيدة ديلمي

ماالذي جرى؟ قل. أخبر. تكلم أيها الغبي.

غريبوي (بكرامة)

لن اتكلم. لن أقـول كلمة واحدة وأنا أتعرض للاهانة. سيدي يعرف التفاصيل كلها. كان صديقي، وقلت له كل شئ.

وانهالت عليه الأسئلة من السيدة ديلمي وولديها راجين متوسلين مهددين، فلم ينبس بكلمة. كان يجمع حطم الصحون ولايردد الا عبارة واحدة: «يجب أن ألم هذه البقايا كي لايقال أني أنا كسرتها». ثم غادر غرفـة الطعام، هادئا، ونزل الى المطبخ فالتقى كارولين، وكانت تعمل جادة على فستان السيدة ديلمي. فتسمر أمامها مكتف اليدين.

غريبوي

كارولين.. لم يعد لي صديق.

كارولين (مستغربة)

لم يعد لك؟ وأي صديق كان لك قبلا؟

غريبوي

سيدي العمدة. كان صديقي ولم يعد.

كارولين

ولم لم يعد؟ كيف عرفت؟

غريبوي

عرفت، لأنـه تخـلى عني. وتخـلى عني لأنه يخاف من زوجته وتجنب الصدام معها بسببي. انه صديق مزيف يتخلى عن صديقه في وقت الضيق. لم يعد لي أي صديق.

كارولين

اشرح لي، غريبوي، لماذا تخلى عنك العمدة. لم افهم ماتعنيه.

وروى غريبـوي لشقيقتـه، وبأمانة، كل ماجرى. لم يخف عنها أي تفصيل، حتى تحطيم كومة الصحون. فذهلت كاررولين، وأحست بأن سيدتها، هذه المرة، لن تغفر هذه الحماقة الأخيرة، وبأن عليها التفكير بمغادرة عملها والعودة الى مهنة الخياطة بعد أيام قليلة، وبأن السيد ديلمي نفد صبره ولن يبقى على حمايته غريبوي. وزعق هنا، صوت قاس: «كارولين».

غريبوي

انها سيدتي. مابها؟ ماذا لديها تقول لك؟ لاتدعيها تطردك. واذا فعلت، ارفضي بشدة.

كارولين

سأفعل، بعون الله. انتظرني هنا، ولاتترك الغرفة قبل أن أعود.

غريبوي

اطمئني. لن اتحرك من هنا. لارغبة لي في مواجهة تأنيبي من السيدة، ولاتهزئتي من الولدين، ولا التخلي عني من العمدة. سأنتظرك هنا.

وخرجت كارولين الى ملاقاة سيدتها.

السيدة ديلمي (بلهجة قاسية)

كارولين، عليك أن تختاري بين غريبوي وبيني. أخبرني زوجي الآن

بأمر حماقة ارتكبها شقيقك. لم يعد يمكنني احتماله اكثر. اذا كنت مصرة على البقاء هنا والاستمرار في الخدمة، أدعه في مصح أو مركز معاقين، فتتخلصين منه نهائيا. وسأزيد لك مرتبك وأعطيك..

كارولين (بانفعال مكبوت)

ولو وهبتني، سيدتي، كل ثروتك، لن أتخلى عن شقيقي المسكين، ولن أحنث بوعدي لأمي في احتضارها. يوم دخلت في خدمتك، قلت لك انني لاأبقى،

الا وشقيقي معي. وأنت ارتضيت، يومها، احتمال جميع سذاجاته و...

السيدة ديلمي

وتسمين هذه «سذاجات» انها حماقات ووقاحات تتكرر بلا انقطاع. خدمتك تريحني، وأنا ممتنة جدا بها. وأرغب جديا في استمرارك لدي، انما... بدون شقيقك.

كارولين

كان لي، سيدتي، شرف تكلمني معك في هذا الموضوع. والأمر محسوم عندي. فمتى تسمح سيدتي بانصرافي؟

السيدة ديلمي

في اقرب وقت، بسبب شقيقك. حالما أجد من يحل مكانك، تنصرفين. والآن اذا جاءتني إحداهن لزيارتي، قولي انني لست هنا.

صديق جديد

حيت كارولين، وانصرفت من الغرفة الى المطبخ حيث وجدت شقيقها في حوار مع الشرطي.

غريبوي

ما الامر؟ ماذا قالت لك السيدة؟

كارولين

سنغادر المنزل حالما تجد بديلا لنا.

الشرطي

كيف؟؟ تغادرين آل ديلمي؟؟ وأنت تقومين بالخدمة ثلاثة أضعاف ماقد يقوم به سواك، ويدعونك تغادرين؟ ولماذا؟

كارولين (بتذمر

سيدتي تطردني

الشرطي

مستحيل! انت النقية الشريفة النشيطة المستقيمة... تغادرين؟ معقول؟

كارولين

معقول... وهذا ماحصل. أشكرك على رأيك بي. هذه تعزية كبرى، أن أجد في محنتي، شخصا يقدرني ويقدم مساعدته.

الشرطي

بل وأحميك كما لو انك أختي.

غريبوي

وأنا؟

الشرطي

وأنت أيضا.

غريبوي

اذن يمكننا الاطمئنان، بحماية الشرطي.

كارولين

لاتتسرع، غريبوي، باستغلال كلام الشرطي.

غريبوي

لاأستغله. بل أصدقه. فهل هو يكذب؟

كارولين

أسكت. مازلت تثرثر.

غريبوي

لا. لست أثرثر. وسأثبت لك أن الشرطي صادق ولايكذب. قال انه سيحمينا، وهو فعلا سيحمينا.

كارولين

لم انكر ذلك. لكنني خفت أن تبالغ في طلباتك.

غريبوي

ابالغ؟ وهل مبالغة في طلب الاستعانة بأخ؟ ألم تسمعيه قال انه سيحميك كما لو انك أخته؟ أنا، كشقيقك، اطلبي مني ماتشائين، وسألبي بسرعة.

لم تعلق كارولين خوف أن يطلب غريبوي من الشرطة مايربكه، كأن يسأله عملا أو خدمة أو التوسط لدى آل ديلمي لاستبقائهما، وهذا مالاتريده. ولاحظ الشرطي ارتباك كارولين، فيما هو مسرور بكلام غريبوي وتنظيره.

الشرطي

شقيقك على حق ياآنستي. سأساعدكما بكل ماأستطيعه. قولي لي ماذا يمكن أن افعل لكما.

كارولين

عند مغادرتي هذا المنزل، أفكر بالعودة وشقيقي الى منزلي، واستئناف مهنة الخياطة. أنا أشكرك على عرضك مساعدتي، ولن أوفر ذلك اذا ما احتجت اليك. أما حاليا، فلا أجد ماأطلبه من كرم أخلاقك.

الشرطي

أنت كتومة ياآنستي. غريبوي، سأتكل عليك اذا احتجتما أية مساعدة، أنت أو شقيقتك، أن تتصلا بي، وأعتبر، غريبوي، أنني صديقك.

غريبوي (هازا برأسه)

صديقي.. صديقي.. خدعتني مرة هذه الكلمة، ولم أعد أثق بصديق يأتي هكذا، ولا أعرف كيف ولالماذا. ذات يوم، قال لي السيد ديلمي: «غريبوي، انا صديقك». وذهب هذا الكلام كما أتى، بسرعة، ولسبب

بسيط ، أو بسبب ببغاء لعينة.

الشرطي

أنت تحاول، وسترى. الى اللقاء آنسة كارولين، الى اللقاء غريبوي. ومد الشرطي يده الى غريبوي مصافحا، علامة الصداقة. فأخذها غريبوي وشد عليها بيديه.

غريبوي

اذن.. صداقتك جدية.

الشرطي

جدية. ونهائية. في الحياة وفي الموت.

غريبوي

في الموت؟ لماذا؟ لاأحب هذا. في الحياة، ارضى. أما في الموت، فلماذا؟ حين أمـوت، لن تعـود صديقي، ولن أعود في حاجة الى أي صديق.

سأكون أمام وجه الله مع أمي ومع.. تلك الببغاء اللعينة جاكو. وقد تقوم هناك بعمل مؤذٍ ضدي.

الشرطي (ضاحكا)

إطمئن غريبوي، ستكون عين الله رقيبة على جاكو، فيطردها، ولاتعود تقلقك . أنا ذاهب. سأقابل العمدة.

حيا الشرطي، وخرج.

غريبوي

طيب القلب، هذا الشرطي! أتعتقدين أنه قد يكون صديقا وفيا؟

كارولين (مترددة)

أظن أن نعم.

غريبوي

ولماذا تترددين في الجزم؟

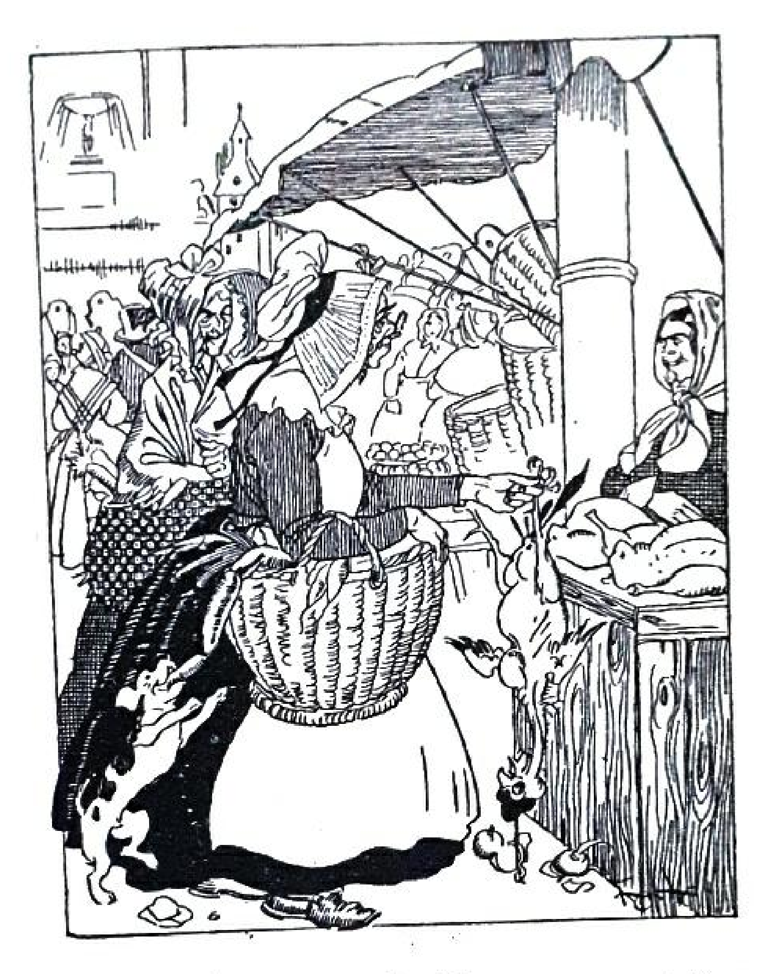
كارولين

كيف أجزم وأنا لاأعرفه جيدا، ولا أعرف بما يمكن أن يفيدنا؟

غريبوي

لكنه هو يعرفك جيداً. كان دائما يتحدث عنك مع العمدة فاسمع هذا يجيب: «آ طبعا، كارولين أقدر عملها ولاأجد لها بديلا». وكلاما آخركنت أحب سماعه، حتى أنني كنت أوقف عملي لأصغي جيدا. وكانا يضحكان، ثم يريانني فنضحك ثلاثتنا معا.

شجار غريبوي



دق جرس الباب، فتوجهت كارولين تفتحه: انها السيدة غريبو.

السيدة غريبو

هل السيدة ديلمي هنا؟

كارولين

كلا سيدتي.

غريبوي

كيف تقولين كلا؟ انها في غرفتها.

كارولين (بصوت خفيض)

اخرس أنت. هي طلبت مني الا أقول لأحد إنها هنا.

غريبوي

آ.. لم أكن أعلم. عفوا، سيدتي، لم أكن أعلم أن السيدة ديلمي طلبت الا ندع أحدا يدخل.. غريب! لاتريد أن ترى أحدا.

السيدة غريبو

أفهم ألا تريد استقبال زوار. ولكنني، كصديقة لها، يمكنني الدخول.

غريبوي

ولكن، سيدتي، أنت لست صديقة لها.

السيدة غريبو

كيف؟ أنا أجئ دائما الى زيارتها، وهي دائما تزورني.

غريبوي

ماهكذا تكون الصداقات. لو كان لي صديق يتكلم علي كما تتكلمين على سيدتي، لما يمكن أن يكون صديقي.

السيدة غريبو

ماأحمقـه، هذا الغـريبوي! دائما على لسانه سخافات. لاأفهم كيف تتحمله السيدة ديلمي.

غريبوي

لن تتحمله بعد اليوم طويلا، ولا أنت ستتحملينه. لأن سيدتي طردت كارولين هذا الصباح وأنا طبعا لن أبقى بدونها.

السيدة غريبو

طردت كارولين! معقول؟ ولماذا؟ كانت تحبكما كثيرا.

غريبوي

أنا لم تكن تحبني. كانت تتجنبني لشدة ماكنت صريحا في قول ماأراه وأسمعه. لذا كانت تتضايق من بعض ماكنت أقوله لها. ودائما تتهمني بأنني أكسر كل ماأصـادفـه أمامي، لأنني نكبت مرة بكسر صحن، وأخـرى بكسر صحفة، وأخرى بكسر كوب. لكن كل شخص معرض

لكسر أي شئ. وكان كل من في البيت يصيحون فورا: «غريبوي يكسر كل شئ لأنه أهوج». وفهمت سيدتي أن كارولين ليست مسرورة من هذا التصرف، وكانت دائما تقول: «اذا خرج أخي، أغادر معه». لأن كارولين كانت تنفذ مابه تعهدت لأمي. وبسبب ببغاء لعينة ماتت عن خبث، غضبت سيدتي واستاء سيدي، وماعاد يريد أن يكون صديقي، فقررت سيدتي أن تطردني، وصممت كارولين على المغادرة وفاء بوعدها. ولهذا السبب نحن مغادران. وأظن أن سيدتي، لهذا السبب نفسه، حزينة ولاتريد أن تقابل أحدا.

هنا الرسم ص ١٦٣ في الاصل

السيدة غريبو

هذا لايصدق. اذن، تبحثان الآن عن منزل آخر تعملان فيه؟

غريبوي

نعم، سيدتي، انما عن منزل جيد الأسياد، تكون كارولين مسرورة فيه، وأنا مكرماً.

السيدة غريبو

كارولين، أعرض عليك الخدمة في منزلي. فأنا أبحث عن خادمة عوض التي استخدمتها ولم تعجبني فطردتها. انها كسولة وقحة. ويسرني جدا أن تكوني لدي. ولاشرط لي الا واحدا: أن تنفصلي عن شقيقك.

كارولين

مستحيل، سيدتي. أبقى في منزلي مع شقيقي اذا لم يتسن لي أن يكون معي حيث أكون. وسأستعيد مهنتي كخياطة.

السيدة غريبو (بغضب)

اذن ترفضين العمل في خدمتي؟

كارولين

مرغمةً، سيدتي، لأنني لن أترك شقيقي وحده.

السيدة غريبو (بغضب ايضا)

عظيم يا آنسة! مساء الخير. سأصعد لمقابلة السيدة دياني رغما عنك.

غريبوي (منتصبا في طريق السيدة غريبو)

لا. لن تصعدي. لا أرضى بأن تسببي التوبيخ لشقيقتي. دفعت السيدة غريبو بغريبوي، وحاولت الصعود واضعة رجلها على الدرجة الأولى من الدرج، فقفز اليها غريبوي وشدها الى الوراء. حاولت أن تقاوم، فتعثرت بثوبها ووقعت ارضا مرقعة معها غريبوي. صرخت غريبوي، فحاول هذا إسكاتها بالضغط على عنقها، كما فعل مع الببغاء، لكن عنق السيدة غريبو كان أوسع من قبضتي غريبوي. هرعت اليه كارولين تتوسل أن يفلت السيدة غريبو.

غريبوي

مستحيل. لن أدعها تصعد. ستسبب لك توبيخا. أيها الشرطي، النجدة! أيها الشرطي، الي فوراً!

وظل يصرخ، لأن السيدة غريبو كانت تحاول الافلات من قبضته. وصدف أن خرج الشرطي من غرفة مكتب العمدة، فوقف عند أعلى الدرج، ورأى غريبوي ممسكا بامرأة من ثيابها، فيما هي تحاول التفلت منه، وكارولين تحيط شقيقها بذراعيها لتسهيل هرب السيدة.

فظن أن عليه مساعدة غريبوي، وبقفزة واحدة كان أسفل الدرج، وأمسك المرأة بحجة إنهاضها، وعرفها فورا.

الشرطي

هذا أنت، سيدتي؟ كيف يحدث أن...

السيدة غريبو (بثورة عارمة)

سأشكو الى العمدة هذا الولد الوقح. وساودي به الى السجن

غريبوي (بحزم)

كلمة واحدة تقولينها بعد، وأخبر سيدي وسيدتي حرفياً ماقلته حين

حملت كارولين ثوبك اليك. لم انس حرفا من كلامك، وسيصدقني سيدي، وكارولين هنا شاهدة على ماأقول.

السيدة غريبو

حقير.

غريبوي

حقير أم غير حقير. أنا ممسك بكلام ضدك، أيتها العجوز الشمطاء.

السيدة غريبو

دعوني أخرج. أرجوكم. أحتاج الى الهواء الطلق. أكاد أختنق. أيها الشرطي، أمسكني من ذراعي وأعدني الى منزلي.

وتمسكت السيدة غريبو بذراع الشرطي الذي لم يفهم تماما مدلول كل ماقيل. وفيما هو خارج، بدرت منه تحية صداقة الى كارولين وغريبوي.

ما ان خرجت السيدة غريبو، حتى راح غريبوي يقفز في المطبخ من الفرح.

غريبوي

عظيم... ماأعظمني... أمسكت بحجة أسكتتها. هذه العجوز الشمطاء، ورفيقاتها الشمطاوات الثرثارات مثلها (وضع أنفه على الباب يتطلع) هاهاها، والشرطي أيضا نفد صبره منها. ها هاي تنهار على ذراعه. هاهاها. لقد تعمدت ذلك. انه الغضب يدمرها. هه. هاهو الشرطي يحملها! آه ماأثقلها. مسكين! هاهو يضعها أرضا. يمسح جبينه. كارولين، تعالي وانظري الى هذه العجوز الشمطاء السيدة غريبو منبطحة أرضا وقربها الشرطي مرتبك. هاهاها، انها تنهض وتسير راكضة، والشرطي يضحك. كارولين، تعالي وانظري. كارولين...

والتفت غريبو صوب شقيقته، فوجد أنه وحده. ذلك أنه، فيما كان يقفز من الفرح، خرج العمدة الى باب المطبخ بعدما سمع نداءات غريبوي،

وانتظر عودة الشرطي فلم يعد. حالما رأته كارولين، ضمت يديها متوسلة اليه الا يدخل، لأنها خشيت أن يتمادى غريبوي في نشوة فرحه فيطلق كلمات مؤذية تمس السيدة ديلمي أو صديقاتها. لذلك سارعت الى استباق سيدها ومرافقته الى غرفة مكتبه.

العمدة (باستغراب)

كارولين، هلا شرحت لي ماذا يعني هذا كله؟ مالذي جرى؟ لماذا هذه الضجة في المطبخ؟ ولماذا صراخ غريبوي؟ وأين اختفى الشرطي؟ ولم شحوبك وارتباكك؟

كارولين (بصوت راعش)

أصرت السيدة غريبو على الدخول عنوة عند سيدتي التي كانت حظرت علي إدخال أحد الى غرفتها. حاول غريبوي منع السيدة غريبو من ذلك، فاشتبكت معه وكان شجار، فأخذ يصرخ. وأنت تعلم، سيدي، أن غريبوي ليس له... أي، لايستطيع...

العمدة

أعرف، أعرف. وبعد؟

كارولين

كانت السيدة غريبو متشجنة قليلا، فأعطاها الشرطي أن تستند الى ذراعه ليرافقها الى منزلها. ثم، دخلت أنت، ياسيدي.

العمدة (باسما)

يعني أنها غاضبة جدا، وتشاجرت مع غريبوي واشتبكت معه واصطحبها الشرطي. ولكن، كيف استسلمت لغريبوي ورضخت؟ وكيف لم تصعد اى مكتبي لتشكوه؟

كارولين

لأنها... لأنها... سيدي، أخاف أن أقول لك...

العمدة

قولي.. قولي.. لاتخافي يابنتي.. ماتقولينه، يبقى ضمن هذه الجدران.

وركنت كارولين الى لهجة سيدها الطيبة الحنون، فروت له تفاصيل ماجرى بينها وبين السيدة غريبو، وكيف تنبه غريبوي الى تهديدها بكلامها ذاك، فسيطر عليها. ضحك السيد ديلمي من كل قلبه، وجدد وعده لكارولين بألا يفتح هذا الموضوع، حتى لزوجته.

العمدة

وهل من جديد لك مع زوجتي؟ هل لها اتهامات مؤخرة لشقيقك؟

كارولين (بصوت شديد التأثر)

السيدة طردتنا. لم تعد تحتمل شقيقي.

العمدة (قافزا من مقعده)

طردتكما؟ مستحيل. هذا لايطاق. لاأرضى بأن تغادرينا. سأكلم زوجتي في الموضوع.

كارولين (معترضة طريقه)

عفوا، سيدي، أشكرك من كل قلبي على عاطفتك وطيبتك نحونا. ولكن أرجوك أن تتفهم وضعي بأنني لم أعد أطيق البقاء في هذا المنزل برغم سيدتي. هذا تجاوز لها ولحضرتك كذلك. سيدتي نفد صبرها من غريبوي، وأنت نفسك هذا الصباح نفد صبرك منه، بعدما احتملته وراعيته وتساهلت معه. ان شجارا كالذي حصل، غير جائز في المنزل هادئ ومتزن كما هنا، ولست أضمن ألا يتكرر هذا المشهد، وربما أعنف.

العمدة

ولكن... ماذا سيكون مصيرك ياعزيزتي؟ كيف يمكنك وحدك كسب قوت كليكما؟

كارولين

لاتقلق، سيدي، علي. أومن بالله، والله لن يتخلى عني، وسيحميني.

العمدة (بحزن)

اذن... ستذهبين وتتركيننا؟ يحزنني هذا الفراق ياكارولين. سأفتقدك

وافقد شقيقك المندفع المخلص الطيب القلب على رغم هفواته. لو كنت وحدي، لما كان يمكن أن أدعكما تغادران. ولكنني.. لست وحدي. ولست أنا من يقرر أمور الخدمة في البيت. تأكدي أنني لن أنقطع عنكما، وسأحفظ لكما عطفا واهتماما، وسأبقى لكما صديقا مخلصا

كانت كارولين شديدة الانفعال والتأثر، فلم تتمكن من الاجابة، واكتفت بتقبيل يد سيدها الممدودة اليها. ذارفة عليها دمعة، ثم خارجة بسرعة. دخلت الى المطبخ، فجلست وأسندت رأسها بين كفيها تفكر في مصيرها الذي سيكون أقل اطمئنانا مما هو هنا. فلن تستطيع العمل بعد اليوم لدى آل ديلمي، ولالدى السيدة غريبو، وربما أثرتا على جميع صديقاتهن ممن كن يوكلن الى كارولين خياطة أثوابهن. واذا تعثر عملها ومدخولها، فكيف تعيل شقيقها العاجز عن أي تحرك بدونها؟

كارولين (متمتمة)

لن يتخلى الله عني. كانت أمي تقوي صبرها بالصلاة. سأفعل مثلها فأقوى، وأركن الى الهدوء وراحة القلب. فلأركم من النقود معي، وكم تكفيني.

فتحت علبة أمامها، وأحصت مافيها، فوجدت مئة وخمسة وستين قرشا: مئة قرش مرتب أربعة أشهر، وخمسة وستون كانت ادخرتها قبل دخولها في خدمة آل ديلمي.

كارولين

اذا اكتفيت بصرف قرشا فقط في الشهر للطعام، وعشرة للصابون والشمع والبقالة والأحذية، تكفينا هذه الكمية لأربعة أشهر. وسأعمل لكسب كمية توازيها، تكفينا أربعة أشهر أخرى.

وأعادت كارولين صر نقودها، وهي تشكر الله على هذا الاكتشاف الذي أراحها. في هذه اللحظة، دخل شقيقها.

غريبوي

كنت أبحث عن عمل: قصدت السيدة بيرون فاخترعت لي حججا

واعذارا. وقصدت السيدة لودو فطردتني بالمكنسة. الى من نذهب الآن؟ لم أعد أدري.

كارولين

ياعزيزي، فلننتظر حتى نغادر هذات المنزل. سنعود الى منزلنا، ننظفه ونرتبه، ثم نذهب معا لنبحث عن عمل، لا عند هؤلاء السيدات اللواتي سيرفضننا حتما. تعال الأن ساعدني ولننه ماعندنا منت أعمال.

ماكادا ينهيان عملهما، حتى دخل جورج واميلي راكضين.

جورج واميلي

كارولين، غريبوي، هل صحيح أنكما تغادراننا؟

كارولين

نعم، مع الاسف: صحيح.

اميلي

ولماذا؟ ابقيا معنا. سنحزن أنا وجورج لغيابكما.

جورج

صحيح. ابقيا. سأقول لوالدي أن يرغمكما على البقاء. سيحزن حتما. أمس كان يقول للشرطي: «اذا تركتنا كارولين سيكون البيت حزينا». فأجابه الشرطي: «وهكذا الأمر في حيثما تكون كارولين وتغادر. انها فتاة غير عادية. يهتف القلب وحده لمرآها». فضحك والدي وقال: «لن أدعها تغادر، الا اذا كان في مغادرتها هناؤها».

اميلي

وبما أن هذه المغادرة ليست لهنائك بل لأن والدتي طردتك، لن تغادري. غريبوي، قل لكارولين أن تبقى معنا.

غريبوي

لن تسمع مني ولن أطلب منها.

اميلي

لماذا؟

غريبوي (بكرامه)

لأن لها من حسن التقدير أكثر مما لنا، وتعرف أكثر مني مايجدر بنا عمله وما لا يجدر. لن أطلب منها، لأن هذا مناف لرأيي وأفكاري ومبادئي. لماذا تضحكين؟

اميلي

لا، لست أضحك. صدقني

واستدارت صوب شقيقها تخفي وراءه ضحكتها.

غريبوي

مبادئي، نعم. ومبادئي تنهاني عن البقاء في منزل لست مرغوبا فيه، لدى سيد لم يعد صديقي، وسيدة لم يعد فيها تجاهي طيبة ولامحبة، وولدين ينحازان ضدي مع ببغاء كاذبة سارقة شرهة ثرثارة. هي هذي مبادئي ياآنسة.

اميلي (بسخرية)

شكرا على رأيك فينا.

غريبوي

شكر على رأيك قول الحقيقة.

كارولين

اعذري، آنستي، شقيقي. لانيّة لديه في أن يكون هجوميا.

جورج

ولكنه كان هجوميا ولو عن غير قصد. امل ألا يكون تفكيرك، أنت أيضا، مثله. أطلبي من والدي استبقاءك، وأنا أؤكد لك أنه سيرضى ويستبقيك.

الألسنة الخيرة

لم تجب كاولين. وخرج الولدان يسألان والدهما مالم تسأله اياه كارولين. فأفهمهما والدهما أن كارولين مصرة على الاحتفاظ بشقيقها، ولم يعد ممكنا فرض ولد أبله على والدتهما.

لم تتـأخـر السيدة غريبو عن الدوران على السيدات اللائي كن يرسلن أثوابهن الى كارولين، كي تروي لهن ماتعرضت له من شجار واعتداء.

السيدة غريبو

لم تعـد السيـدة ديلمي تحتمـل. لذلك، وعلى رغم ميلها الى الظهور ورغبتهـا في الايهـام بصبـاها والبروز بأناقة هندام وتسريحة شعر،

اضطرت الى طرد كارولين وشقيقها وأمس حالا دون دخولي عندها، واوقعاني أرضا، وضرباني وكادا يخنقانني. ولولا تدخل الشرطي الذي دفعهما عني لكانا قتلاني. واصطحبني الشرطي الى منزلي خوف أن يلحقا بي.

السيدة بيريه

يصعب علي التصديق بأن كارولين يمكن أن...

السيدة غريبو

بل أكثر. لاتعرفينها على حقيقتها ياعزيزتي. انهما شقيقان خطران. العمدة اكتشف ذلك واقتنع بطردهما. ثقي بي، ولاترسلي ثيابك الى هذه الفتاة. فلتبحث عن عمل لها خارج مدينتنا.

السيدة بيريه

كنت أظن أن هذا الولد الساذج طيب وهادئ.

السيدة غريبو

طيب وهادئ؟ انه خبيث شيطاني ياعزيزتي. بل مؤذٍ. وستكتشفينه بنفسك. قد يقتل سيدة وهو يعيد اليها ثوبها من عند شقيقته.

السيدة بيريه (بخوف)

صحيح؟ ياالهي.. هل تعتقدين بأنه قادر على...

السيدة غريبو

انه قادر على كل شئ ياعزيزتي. أتسمعين؟ على كل شئ.

وهكذا، من باب الى باب، راحت السيدة غريبو تبعد عن كارولين زبوناتها، وتبعد عنها، بذلك، لقمة العيش.

تحركت السيدة ديلمي للبحث عن خادمة بديلة لكارولين. وخلال جولتها على صديقاتها، علمت بالشجار الذي جرى في منزلها بين غريبوي والسيدة غريبو. وتحمست أكثر للبحث عن بديلة، حتى وجدت، أخيرا، امراة مقبولة، انما لاتحسن الخياطة، وليس لها مهارة

كارولين وجهدها ونشاطها وحيويتها. واتفقت معها على العمل صباح اليوم التالي، مما سر السيدة غريبو، أن تكون انتقمت من عدويها.

حين عادت السيدة ديلمي، أعلنت لكارولين وغريبوي أنها علمت بما جرى لصديقتها الطيبة السيدة غريبو، وأنها وجدت خادمة بديلة تبدأ عملها صباح غد، وعليه، يمكنهما حزم حقائبهما.

لم تعلق كارولين على اتهامات سيدتها، وجميعها باطلة. لكن غريبوي، اذ لاحظ الجرح في سكوت شقيقته، وصمتها عن حقيقة أنه هو الذي تشاجر مع السيدة غريبو، لاشقيقته، اندفع صوب السيدة ديلمي التي تراجعت مذعورة.

غريبوي (بحزم)

اسمعي، ياسيدة، تبرير شقيقتي. انها تسكت كي لاتحصر الاتهام بي. انها أنبل منك وأنت تتهمين ولم تري لتعرفي الحقيقة.

السيدة ديلمي (بغضب)

وقح.

غريبوي (رافعا صوته ودافعا بشقيقته التي تحاول إسكاته)

دعيني أكمل ولاتعارضيني. ضقت ذرعا باجحافاتك الباطلة. أنا الذي حال دون صعود السيدة غريبو الى غرفتك، كي لاتزعجك، اذ أنت طلبت ذلك. وأنا أوقعتها أرضا. وأنا كممت فمها. كارولين لم تلمسها.

والشرطي لم يطلقها بل سخر منها. واصطحبها مرغما لأنها كانت تتصرف بخبث ورياء وتظاهرت بالعجز عن المشي وحدها. وتقولين انها صديقتك؟ أنا أقول انها عدوتك التي تتحدث في غيابك عنك بالسوء، وتسخر من هندامك، وحاولت اغراء كارولين بمبلغ أكبر مما تدفعين أنت لها، لتنتقل الى الخدمة لديها. ومثلها حال السيدة لودو والسيدة بيرون. هذا أنا صارحتك بكل شئ، وبررت موقف كارولين. نحن سعيدان بمغادرتك، وفورا. ولن نأسف الا لتركنا العمدة لأنه طيب، وليس مثلك،

ولأنه لم يحصر همه في هندامه وأسنانه وشعره.

السيدة ديلمي (بغضب شديد)

أغرب عن وجهي ياوقح، ياحقير.

ودفعت بغريبوي وهي ترتقي الدرج.

كارولين

لماذا أثرتها هكذا ياأخي؟

غريبوي

وماهم. قلت لها الحقيقة. فلتفهم ماهي وما صديقاتها.

كارولين

ولكنها ستؤذينا وتسد علينا منافذ الرزق.

غريبوي

معقول؟ هل تكون مؤذية الى هذا الحد؟

كارولين

مع الأسف، نعم.

وانهارت كارولين على كرسي، مخبئة وجهها بكفيها، مصلية، ضارعة الى الله، طالبة عونه على تجنيبها رؤية شقيقها في حالة عوز وعذاب.

الوداع

كان غريبوي يتأمل سقيقته، شاعرا بأنها تتعذب، انما غير مدرك أنه هو سبب حزنها وعذابها. أدمعت عيناه، وفكر في طريقة يصحح بها خطأه. ثم تمتم: «وجدتها»، ودلف خلسة الى غرفة العمدة.

العمدة(وقد تنبه الى صوت بابه)

غريبوي؟ مابك؟

غريبوي (هامساً)

كارولين تبكي. و... بسببي. أرجوك ـ ولو انك لم تعد صديقي ـ أن تأتي لمساعدتنا وتصحيح أخطائي.

العمدة

ولم تقول انني لم أعد صديقك؟ أنا مازلت صديقك وسأبقى.

غريبوي

كلا. كان موقفك إزائي ضعيفا ذات مرة. ولم أعد أتكل عليك.

العمدة

ضعيفا؟ غريبوي. أنت لاتدرك ماتقول ولا الى من تتوجه.

غريبوي

كنت ضعيفا حين تخليت عني في قضية جاكو، عوض أن تساندني. قلت: «خلص نفسك بنفسك». وكيف كنت تريدني أن أخلص نفسي وأنت من وضع رأس الببغاء في المصيدة. ماذا كان يمكنني أن أقول في هذه الحالة؟ لو لم تنصحني أنت بذلك، لكنت رميت جثتها في المزبلة ولم يدر أحد.

ابتسم العمدة واستعاد لهجته الحنون.

العمدة

كل هذا لايفسر لي لماذا تبكي كارولين، ومايمكنني أن أفعل لتعزيتها.

وروى له غريبوي ماجرى مع زوجته، وخشية كارولين من العاقبة.

العمدة

الموضوع دقيق. ولاأجد الا طريقة واحدة: أن تبحث كارولين عن عمل لدى عائلات أخرى. هذا أمر غير سهل. سأفكر فيه وأبحثه مع الشرطي.

غريبوي

الشرطي!!! فكرة جيدة. فهو مؤخرا قال لها انه سيحميها ويحبها كأخته. أمر مطمئن أن يحمينا شرطي. فهو يفرض احترامنا على الجميع.

العمدة

طبعا. وسنهتم معا بأمركما. وقد نجد حلا ملائما.

خرج غريبوي مسرورا وأخبر شقيقته بكل ماجرى.

كارولين

الشرطي؟ لا. أرفض. سأعرف كيف أتصرف وحدي بدونه.

غريبوي

ولماذا؟ الشرطي ليس عجوزا. هو من عمرك، ويمتلك القوة والمنطق.

كارولين

صحيح، ولكنني أرفض.

غريبوي

اذن اذهبي الى العمدة وقولي له ذلك لأنه سيبحث الأمر معه.

كارولين

لاداع، طالما سنغادر غدا. واذا لم نتمكن من الارتزاق هنا، نسافر الى مدينة أمي.

غريبوي

كما تريدين. أنا أرافقك حيثما تريدين.

وانتهى النهار حزينا. انزعجت السيدة ديلمي من حزن زوجها، وكان الولدان في حديث كارولين وغريبوي ومغادرتهما الوشيكة، والنزهة الوداعية التي ينويان القيام بها الى الريف برفقة غريبوي. وحدها السيدة ديلمي كانت تعرف أن المغادرة ستتم في اليوم التالي.

في أواخر السهرة، دخل غريبوي، وبدون أن يكلم أحدا، توجه الى العمدة وأعطاه رزمة مفاتيح.

العمدة

ماهذه؟ وما شأني بها؟

غريبوي

انها لك. احتفظ بها لأنها ملكك.

العمدة

ولماذا لاتبقى في عهدة كارولين، وهي المسؤولة عنها؟

غريبوي

هي كانت المسؤولة عنها، والآن لم تعد، طالما أننا نغادر صباح غد.

العمدة (مفاجأ)

صباح غد!! مستحيل! لم هذا التسرع المفاجئ؟ ليس من شيم كارولين التصرف هكذا.

غريبوي

معك حق. ليس من شيم كارولين التصرف هكذا. انها زوجتك التي تصرفت هكذا وأمرتنا بالمغادرة الفورية كأننا لصان. قد تكون خافت أن نحمل معنا بعض أثوابها.. تلك الأثواب الجميلة الأنيقة هاهاها...

وضحك غريبوي. ورغم حراجة الموقف، لم يتمالك العمدة من بعض ابتسامة. بقي الولدان واجمين، والسيدة محرجة.

السيدة ديلمي

صحيح. فكرت بأن أستعيض عنهما بسرعة. غريبوي فظ، ولايمكننا تركه يتعرض لضيوفنا بالاهانة والضرب. وكارولين شفافة الرهافة، فلم ترض بأن... بأن...

العمدة

... بأن تحتمل غضبك، ففضلت المغادرة بأسرع مايمكن. أفهمها. وأجدها على حق. غريبوي، ناد شقيقتك. يجب أن أكلمها. آدعها الى مكتبي.

خرج غريبوي راكضا، وبعد دقيقتين كان مع كارولين في مكتب العمدة.

العمدة

اذن تغادرين غدا.

لمسة من حناني وتفهمي وضعك، لن أحتجزكما. وأنا على وعدي بحمايتكما، ولن ادعك تذهبين بدون بادرة تقدير مني، لذلك أضيف الى ماقتصدته من نقود، مبلغاً صغيراً يساعدك على احتمال فترة البحث

عن عمل جديد. مع السلامة ياعزيزتي. بأمان الله. سأزوركما في منزلكما.

كارولين (باكية)

شكرا سيدي. غمرتنا بطيبتك.

وانسحبت لتخفي دموعها، بدون أن تأخذ الرزمة من العمدة.

العمدة (بتأثر)

غريبوي، خذ هذه الرزمة وأعطها لكارولين.

غريبوي

شكرا سيدي. وانتبه الى من سيحل مكاننا، ولن يكون، حتما، أفضل منا. أنا أرثي لحالك ولو لم تعد صديقي، مستاء من السيدة، وأجد صديقاتها على حق بأنها مؤذية ورديئة. ولكن لاتهتم، طالما أنت أعجز من أن توقفها عند حد. الوداع، سيدي، يؤسفني أن أغادرك ولو كنت انحزت مع جاكو ضدي.

العمدة (مادا اليه يده مصافحا)

الوداع ياصديقي.

غريبوي

صديقي.. نعم صديقي.. أقبل. وأنسى كل ماجرى، وأغفر. وأعود صديقك وسأبقى. الوداع.



خرج غريبوي بعدما صافح العمدة (الذي لم يتمالك من الابتسام لسذاجة الفتى الأخيرة)، ونزل الى المطبخ فلقي كارولين تبكي غزيرا.

غريبوي (داخلا).

كارولين، لاتبكي، سوي الأمر.

رفعت كارولين رأسها مستفهمة.

غريبوي

نعم، سوي الأمر. صفحت عن العمدة، وعدت صديقه من جديد، وعاد صديقي. سيأتي الى زيارتنا وسنكون سعيدين. فلننه الآن حزم حقائبنا. هل تريدين أن أنقل الرزمة الكبيرة هذا المساء؟

كارولين (بحزن)

كما تشاء.

غريبوي

كارولين، لم هذا الحزن؟ صحيح أن السيدة ديلمي رديئة، لكن العمدة رجل طيب، وسيأتي لزيارتنا. لقد وعدني بذلك. والشرطي وعدني، وسيزورنا أيضا. مهما هززت برأسك شكاً، أؤكد لك أنه سيأتي مادام هو قال لك انه سيحبك كأخته. هل يمكن أن أبقى بدون أن أراك وأنا أخوك؟ ابتسمي اذن، وهاتي لي مايجب أن أنقله.

نهضت كارولين، ساهية بهذر شقيقها، وساعدته في صر الثياب، فحمل الصرة وخرج، على رغم الظلمة الشديدة في الخارج. ولم ينتبه الى رجل وامرأة يتربصان به، اختبآ خلف الجدار حتى خرج، فاقتربا منه.

وإذ دنا من منزله ـ وهو كل مابقي له من أمه ـ أحس بيدٍ تمسكه من الخلف بقوة، وقبل أن يتاح له الوقت ليصرخ، كانت لكمة قوية رمت به أرضا، وجهه للتراب، تكبله يدان، فأفلتت منه الصرة. وحين تسنى له الصراخ والنهوض، لم ير الا شبحين في العتمة يبتعدان، أحدهما كثير الشبه بالآنسة روز.

عاد غريبوي الى منزل العمدة، خائفا مرتجفا، فذهلت كارولين لرؤيته شاحبا، أسنانه تصطك، ولم يتمكن من الكلام الا بعدما جرع كوب ماء. فروى لها السرقة التي تعرض لها، وحزنت كارولين لحالة شقيقها بقدر ما حزنت لخسارة ثياب لهما لاتعوض.

غريبوي

يجب أن نروي الحادثة لجميع أصدقائنا. سيجدون السارقين، بفضل مهارتهم.

كارولين

نروي للعمدة فقط. هو الذي يصدر الأوامر.

غريبوي

سأفعل. أتأتين معي؟

كارولين

كلا. يجب أن أنهي توبا لسيدتي. تلزمني ساعة بعد.

غريبوي

تندفعين كثيراً لخدمة هذه السيدة. سأذهب وحدي أروي الحادثة للعمدة. وبعد لحظات، كان باب العمدة يدق.

العمدة

من؟ أدخل. آ.. غريبوي، هذا أنت؟ ماذا حدث؟ ماهذا الغبار المتراكم عليك؟ لم هذا الشحوب؟ ماذا جرى؟

غريبوي

جرى معي أن لم يعد معي شيْ. سرقوا مني كل شيْ. لم يعد لي ثياب، ولاالشقيقتي.

العمدة

ومن سرقها؟

غريبوي

رجل وامرأة. قد تكون الآنسة روز. استشبهت بها.

العمدة

وكيف سرقاك، وفي منزلي؟

غريبوي

لا في المنزل، هنا، بل... سيدي، أنت تعرف أن السيدة طردتنا، وأبلغتنا ضرورة المغادرة في اليوم نفسه. وهذا يسمى طرداً. أرجوك، سيدي، لاتقاطعني حتى أنتهي.

العمدة

أنا لاأقاطعك. لاأتكلم.

غريبوي

لاتتكلم ولكنك تقوم بحركات وملامح تتكلم. وأعرف ماذا يمر في بالك: غريبوي أبله، غريبوي ساذج، غريبوي متخلف عقليا.

العمدة

لا. لا. أبداً. أكمل.

غريبوي

إذن، طردتنا السيدة. وكان علينا المباشرة بنقل حوائجنا. كانت كارولين تبكي حتى تقطع قلبي. حاولت التخفيف عنها باقتراحي أن أبدأ بنقل ماجهز من حوائج. ابتسمت للفكرة، وايستراحت أساريرها. فحملت صرة الثياب، وخرجت في العتمة الشديدة. فجأة، شعرت بثقل هائل يقع على ظهري، فوقعت. بعد دقيقة، كان الثقل ينزاح عني، والصرة تنفلت مني. كان وجهي ممرغا بالتراب، نفضت عني بعضه، وتطلعت، فتبينت من صوب تلة الطاحـونـة رجلا وامرأة يركضان. وأظنني استشبهت بالآنسة روز. فكرت باللحاق بهما، لكنني فضلت العودة الى هنا. عدت ورويت لكارولين ماأرويه لك الآن.

العمدة

أحسنت بالعـودة السريعـة الى هنـا لاعلامي. هذا أمر خطير. سرقة بواسطة شخصين وفي الشارع العام؟ سأصحبك عند الشرطي وتعيد له رواية الحادثة
بالتفصيل، واعطيه الأوامر ليقوم بتحرياته.

غريبوي

نعم، سيدي، سأتبعك. معك، لاأخاف.

وخرج العمدة، ومعه غريبوي، بعدما نبه كارولين الى غياب لشقيقها قد يطول.

غريبوي

لماذا تعتقد أن غيابنا قد يطول؟ هل ستطارد السارقين بنفسك؟ أتنسى

أن السارقين إجمالا مسلحون؟

العمدة

لاتخف. لن نطاردهمـا نحن. ولكن المحضر الرسمي قد يكون طويلا لتحريره، وقد يكون علي انتظار رجال التحري سأنتدبهم للبحث عن السارقين.

غريبوي

فهمت: لن تعرض نفسك للمهمة، وسترسل من يتلقون الضربات.

العمدة (باسما)

آمل ألا يتلقوا، بل أن يسددوا. وماقلته، كان لتطمين كارولين كي لاتقلق للغيـاب. وبلغا منزل الشرطي، فطرقه العمدة. فتح الشرطي ففوجىء بالعمدة مصحوبا بغريبوي.

العمدة(داخلا)

أيها الشرطي، أحتاج اليك.

الشرطي

ولمـاذا، سيدي كلفت نفسك عناء المجئ الى هنا؟ كان يمكن صديقي الفتى غريبوي أن يأتي ويبلغني استدعاءك. كنت وفرت عليك مشقة الطريق.

العمدة

ماكان يمكن صديقك الفتى أن يتجاسر على الخروج وحده. أعرف أنه، عادة، شجاع، ولكنه تعرض للسرقة قريبا من هنا، وهو يأتي اليك الآن ليدلي بافادته.

الشرطي

تعرض للسرقة؟ سرقة ماذا؟ وممن؟

غريبوي

ماذا؟ جميع ثيابي وثياب شقيقي. كنت أحملها على ظهري الى منزلنا.

الشرطي

هل رأيت أحدا؟

غريبوي

رأيت شخصين يهربان، رجلاً وامرأة، من صوب تلة الطاحونة.

الشرطي (مفكرا وهو يمسد شاربيه)

آ... تلة الطاحونة... وهل تعرفت الى المرأة؟

غريبوي

اشتبهت بالآنسة روز. انما لست متأكدا. كانت الظلمة شديدة، وهي تركض بسرعة، وكان يملأ عيني غبار كثير.

الشرطي (مواصلا تفكيره)

الآنسة روز... أصبت ياصديقي... و... لدى ميشال...

العمدة

هل لديك أية فكرة عن روز وميشال؟

الشرطي

ميشال يسكن هناك. هو يعرف روز منذ مدة طويلة، وكان سيتزوجها. وكما تعرف، سيدي، ميشال شخص رديء، سجن مرة بتهمة السرقة، وروز تتردد عليه، حاملة رزماً وحزماً تدور على بيعها بالمفرق. وقد نصل الى نتيجة، اذا ماداهمناه...

العمدة

وقد تكون هي هناك..

الشرطي

نعم سيدي. ولكن، لايمكننا القيام بمداهمات ليلية بدون أوامر.

العمدة

ولهذا أنا جئت، أيها الشرطي. أعطني ورقة مدموغة.

ووقع العمدة فورا على أمر تفتيش عن أغراض مسروقة لدى ميشال.

العمدة

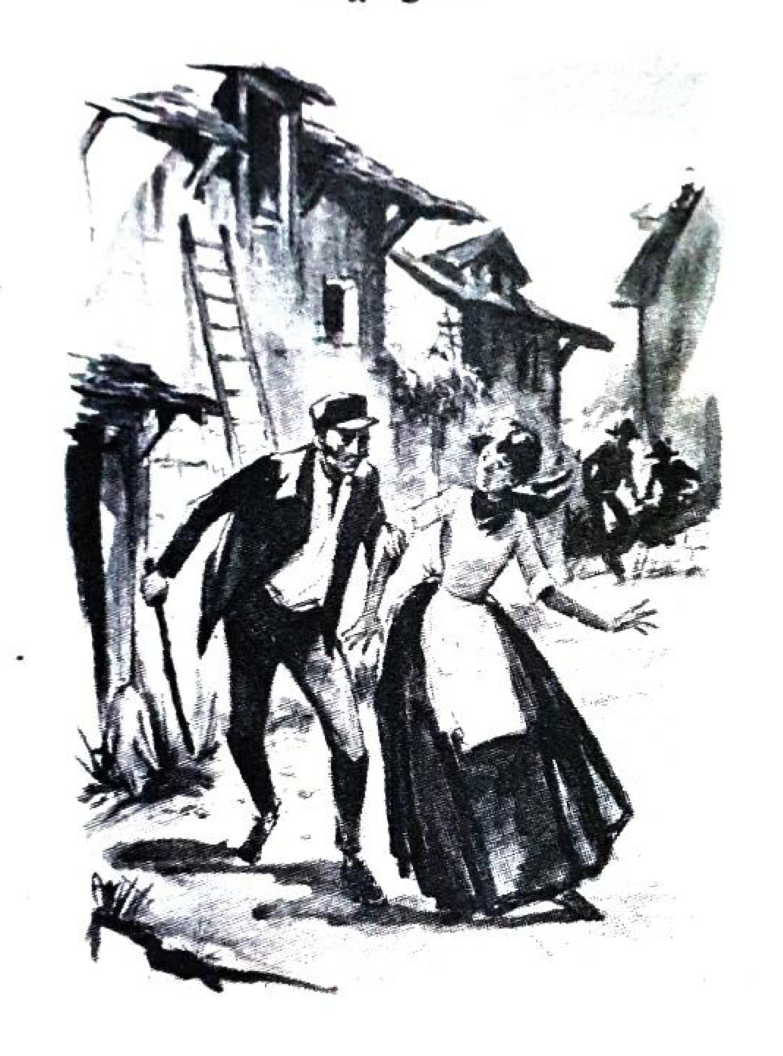
تفضل. هيا، أرسل اثنين من رجالك يقومان بالمهمة.

الشرطي

عفوا سيدي العمدة، أفضل أن أذهب بنفسي. يكفي أن يكون الأمر متعلقا بكارولين أو غريبوي، حتى أقوم أنا نفسي بالمهمة.

وتقلد الشرطي سيفه، ووضع مسدسين في نطاقه، وارتدى معطفه، ونـادى أحد خفرائه، فحمل مثله لوازم المهمة، وانطلقا معا متوجهين خلسة الى تلة الطاحونة.

التوقيف



باقترابهما من منزل ميشال (وهو خادم سابق لدى الكونت تريني، وطرده بسبب كسله وسوء سلوكه) حرص الشرطيان على أن يريا ويسمعا من دون أن يراهما أو يسمعهما أحد. دارا حول المنزل بخطوات خفيفة، ولم يهتديا الى أي نور. واذ كان الشرطي الأول يمر بجانب سلم مثبت على نافذة العلية، رفع بصره فوجد فيها ملامح نور. فأشار الى رفيقه، وسحبا السلم وبسطاه على الارض. وتسمرا عند زاوية المنزل في العتمة تامة. بعد لحظات، سمعا حركة خفيفة ثم اقترب رجل من كوة العلية، وحدق في العتم فلم ير أحدا. نادى بهمس: «روز،

روز، أين أنت؟ لماذا سحبت السلم»؟ وماهي إلا لحظات حتى شقت روز باب البيت مجيبة بهمس:

روز

لماذا تناديني؟ ماذا تريد؟

ميشال

أناديك لأتمكن من النزول. لماذا سحبت السلم؟

روز

أنا لم اسحبه. مازال في مكانه.

ميشال

كيف يكون في مكانه، وأنا أسألك عنه؟ هل تسخرين مني أيتها اللعينة؟ فتحت البـاب أوسع وخرجت تتلمس طريقها في العتمة الشديدة، الى حيث كان السلم. ولما لم تجده مكانه، خطت الى الأمام قليلا، فداست عليه.

روز

هاهو. لقد وقع.

ميشال (بحزم)

أعيديه الى الكوة.

ورفعت روز السلم، فنزل عليه ميشال حتى اذا بلغ الارض، أمسك بروز وانهال عليها بهراوة كانت في يده. أطلقت في البدء أنات وتوسلات، ولكنهـا، تحت وطأة تصاعد ضرباته، أطلقت صرخات استغاثة كانت تقوى مع ازدياد عنف الضربات.

ميشال

أيتها السافلة، ستتسببين بتوقفي. اخرسي. اخفضي صوتك.

وهنـا، تدخل الشرطي خارجا من مخبئه. وقبل أن يتمكن من إمساك ميشال، كان هذا رآه وعرفه، فأطلق على رأس روز ضربة قوية أخيرة بهراوته، مزمجرا: «ايتها الخائنة، سلمتني»؟؟

سقطت روز بدون حراك على الارض. وهرع الشرطي، يسانده رفيقه، الى ميشال، وباقل من دقيقة، كانا قد أوثقاه بأحكام. وصعد المعاون الى العلية، على أمر الشرطي، وحمل منها فانوسا أصم (يسهل إخفاء ضوئه).

الشرطي

أشعل شمعة في البيت، ولنحمل هذه المرأة الى فراش في الداخل، اذا وجدنا. ولاخوف على الرجل، فقد أوثقناه بحزم. يمكننا أن ندعه هنا حتى ننهي جرد الأغراض.

وحمل الشرطي روز التي لم تكن فيها سوى نبضات خفيفة. وضعها على سرير في الزاوية، وأخذ يفتش. لم يجدا شيئا في تلك الغرفة، وانما في الغرفة المجاورة، وفي الخزائن، وخاصة في العلية، وجدا أغراضا من كل نوع. وكانت رزمة غريبوي، كما هي، غير منقوصة انما مفتوحة. تعرف الشرطي الى ثياب كان سبق أن رأى كارولين وغريبوي يرتديانها. ولم يلمس شيئا قبل أن يتأكد من عملية السرقة.

الشرطي

نحتاج الى رفيق آخر لنقتاد ميشال ونحمل روز. اذهب واصطحب بوردون. ذهب المعاون، فبقي الشرطي ليحرس الأسيرين، وهو يذرع المكان بانتظار رفيقه، تارة ببطء وطورا بمشية عصبية. ثم توقف وتمتم: «يجب أن أستشير العمدة. انه رجل حكيم، وسأفعل ماينصحني به. فهو يحب هذين اليتيمين، وسيساعدني على اعانتهما».

وصل الشرطيان، وجهزا نقالة حملا عليها روز، وتوجها الى ميشال لفك وثاق ساقيه، فلم يجداه. ذلك أنه، في حين كان الشرطي يذرع الغرفة جيئه ورواحا، تمكن من حك الحبل على حافة الجدار، فتحررت يداه، وبات سهلا عليه فك وثاق ساقيه. بقي منبطحا أرضا، وزحف حتى الخارج، فنهض وسار على مهل، ثم ابتعد قليلا فأطلق ساقيه ركضا.

تم القـرار على إرجاء المطاردة الى الغد، وعلى حمل روز الى غرفة تسبق السجن. وجيئ بطبيب فدل تشخيصه على حالة خطرة، بسبب الضربـة القـويـة على الرأس. وعند نزع ثيابها، ظهرت رضوض على جسـدهـا، بعضها قديم، مما يدل على انها كانت تتلقى من شريكها المتواطىء معها، ضربات دائمة.

في هذا الوقت، كان العمدة وغريبوي قد عادا الى المنزل.

وفي اليوم التالي، بعد الفطور وحضور الخادمة الجديدة، أكملت كارولين وغريبوي حزم المتبقي من أمتعتهما، وخرجا الى منزلهما مقررين ألا يغادراه بعد اليوم.

وودعا آل ديلمي، فتلقيا تحيات حارة من الولدين، ومؤثرة من العمدة، وباردة من السيدة ديلمي.

كانت كارولين سائرة حزينة، يتأملها غريبوي محاولا تخفيف حزنها بأن يروي لهـا ماجـرى عند العشية الفائتة، مع العمدة والشرطي. فكانت كارولين تبتسم وتشد على يده، لكنها لاتنفك تفكر في وضعها الصعب.

العودة الى المنزل



أحست كارولين، عند دخولها المنزل، بتأثر شديد لتذكر أمها، فيما هي تصادف أشياءها القديمة، وسريرها الذي لفظت عليه رمقها الأخير. وانصرف غريبوي الى ترتيبات تفصيلية: تعبئة الاباريق ماءً، تحضير الموقد، فيما قلق على فقدان الخبز والحليب والملح والسكر والزبدة.

جثت كارولين عند سرير أمها تصلي بحرارة، طالبة منها مساعدتها وحمايتها، والسهر عليها وعلى أخيها، متمتمة: «مسكين أخي، كيف يمكنني أن أصلحه؟ يسبب طردي من كل مكان، ويسبب لنفسه مشاجرات وأخصاماً.

كانت تبكي بدموع غير مريرة، لأن الرجاء كان ملء قلبها، والصلاة تخطفها حتى أنها لم تسمع أية حركة في الغرفة، أحدثها شخصان مسمران على باب الغرفة يتأملانها بحنان. ولم تنتبه من انخطافها الا على صرخة غريبوي داخلا من الباب الخلفي حاملا حزمة حطب. التفتت ففوجئت بالسيد ديلمي والشرطي، فنهضت على مهل واقتربت منهما. صافحها العمدة بيد، وأخذ الشرطي يدها الأخرى بحنان.

الشرطي

آنسة كارولين، جئت مع حضرة العمدة بشأن سرقة أمس، ولكي أجدد عرض خدمات أرجوك ألا تترددي في طلبها، وأن تتعاملي معي ببساطة، كأخ، كلما احتجت الي.

العمدة

كما قال لك الشرطي، يابنتي، سبب زيارتنا: سرقة أمس، وتقديم خدماتنا. واذا ما وجدت نفسك في ضائقة، اتصلي بي فورا. يسعدني جدا أن أخدمك.

كارولين (متأثرة)

شكرا سيدي، شكرا حضرة الشرطي. أنا ممتنة لكما جدا وسعيدة جدا بفضلكما.

غريبوي

وأنا؟ ليس من يقول لي شيئا؟ نسيتماني؟

الشرطي

أنا لن أنساك ياصديقي. هذي يدي، صافح.

غريبوي

وأنت، سيدي العمدة، ألست صديقي؟

العمدة

بلى، طبعا، في الحياة وفي الموت.

غريبوي

أنت أيضا؟ وفي الموت؟ كالشرطي! غريب! وفي الموت! وهل أنا سأموت قريبا؟

العمدة

لا، طبعا. ولم شعورك بأنك ستموت؟ لاتقلق بالك بهذه الأفكار السوداء.

غريبوي

السوداء؟ لم السوداء؟ أنا أجدها جيدة. أحب كثيراً أن أموت.

كارولين (معاتبة)

غريبوي، وتريد أن تتركني؟

غريبوي

كلا. وانما، اذا مت، أكون بجانب أمي في انتظارك. لن أبقى طويلا، فستوفينني. ليس حزينا أن نموت. ألا تذكرين كم كان وجه أمي صافيا وساكنا حين ماتت؟ ثم... كارولين، أخشى أن تكون أمي مستاءة مني.

كارولين

مستاءة؟ لماذا؟

غريبوي

بسبب... كما تعرفين... بسبب جاكو اللعينة. فهي ماتت وانتقلت عند أمي، وحتما قالت لها انني أنا قتلتها، وستقول عني أمورا كثيرة مؤذية. تعرفين كم هي كاذبة وغشاشة. لذا يجب أن أسرع، فأقول لأمي ان جاكو كاذبة.

كارولين (بشفقة)

مسكين، أخي الطيب. اطمئن ياحبيبي اطمئن... جاكو ليست مع أمي.

غريبوي

كيف لا، وهي ماتت؟

كارولين

لأنها حيوان، والحيوانات ليست في السماء مع البشر في مكان واحد.

غريبوي

الا يجوز أن تلتقي الببغاء وامي، بالمصادفة، في مكان ما من السماء؟

العمدة

لاتخف. لن تلتقيا. فلننته من موضوع الببغاء والموتى. لدينا عمل أهم من سذاجاتك. كارولين، يجب يا ابنتي أن تجئي معنا لكي تتعرفي الى أغراضك بين مختلف الأغراض التي وجدها الشرطي عند ميشال.

كارولين (بفرح)

وجدها؟ بهذه السرعة؟ أية خدمةٍ هذه لي ولغريبوي! لم نعد نملك الا الثياب التي نرتديها.

الشرطي

أنا سعيد يا آنستي بأن أكون نجحت في هذه المهمة.

سر غريبوي بخبر ايجاد أغراضه، فطلب أن يرافق شقيقته، فوافقت. وفي كوخ ميشال كان شرطي يحرس المكان خوف عودة ميشال ليأخذ أغراضا مسروقة، وخاصة كيساً من الدراهم وجده الشرطي تحت بلاطة المغسل. كان كل شيء في مكانه، فصعد العمدة وكارولين والشرطي وغريبوي الى العلية، حيث كانت رزمة غريبوي.

غريبوي (هاتفا عن الباب)

هه! هذه ثيابي وثياب كارولين. تعالي، كارولين، انظري: هاهي. كلها هنا.

كارولين (بعد تفحصها الرزمة)

صحيح! كلها هنا. لم يسرق اللص منها شيئا.

الشرطي

لضيق الوقت، يا آنستي. ففورما تلقيت التقرير من العمدة وغريبوي، بادرت مع رفيقي بريفو الى هنا، فضبطنا السارقين كليهما.

كارولين

كانا اثنين؟

الشرطي

نعم: رجلا، وامرأة هي روز خادمة العمدة.

كارولين

روز هي السارقة؟ يالهي! معقول؟ مسكينة.

الشرطي

فعلا مسكينة. أشك ان تنجو من أثر الضربة على رأسها. وجسدها مليء بآثار هراوات. لقد ارتبطت مع هذا الشرير ميشال لاصرارها على الزواج بأي ثمن. كان هو يستغلها ويدربها على السرقة ثم يضربها كلما تركت بعدها أثرا.

كارولين

وأين هي الآن، روز المسكينة؟ هل يمكنني أن أراها؟

الشرطي

عندنا، في سجن الشرطة. ولكن امرأة شريرة كروز، لاتليق باستقبال أمثالك يا آنسة كارولين.

كارولين

قد يكون لي أن أؤاسيها وأساعدها في الندم على أخطائها. أرجوك، حضرة الشرطي، دعني أراها.

الشرطي

اذا كنت تصرين، فكما تشائين وساعة تشائين.

كارولين

شكرا أيها الشرطي. أنت طيب وحنون.

الشرطي

يسعدني ارضاؤك يا آنسة كارولين.

وبعدما أنهى العمدة والشرطي تقرير كارولين وغريبوي عن حوائجهما، سمح لهما العمدة بأخذها، فحمل غريبوي الرزمة على ظهره، مزهوا، وسار نحو البيت يحيط به العمدة وكارولين والشرطي.

افترقوا عند الباب: دخلت كارولين وشقيقها، فيما أكمل العمدة والشرطي طريقهما.

غريبوي (وهو ينزل الرزمة عن ظهره)

فلنهتم الآن بعشائنا. ليس لدينا مانأكله.

كارولين

سأذهب لشراء مانحتاج، وتأتي معي لتَحمل المشتريات الى المنزل، ريثما أعرج على السجن لأرى روز المسكينة.

غريبوي

حاضر. أتعرفين؟ أنا سعيد أن نكون في منزلنا. ألست سعيدة أنت أيضا؟ هاها، تضحكين: إذاً انت فرحة. وسنكون سعيدين. ستشتغلين، وأقوم أنا بالخدمة. وعند المساء، نقوم بنزهة، أو يجيئنا أصدقاؤنا للسهرة، فنتسلى.

كارولين (بمرح)

تُدَبِّر كل هذا، كأنْ ليس لدينا مانعمله الا التسلية. أتنسى أنْ لاعمل الآن بين يديّ؟

غريبوي

سيكون لك. سيؤمّن لك الشرطي عملا. هكذا أكد لي العمدة.

كارولين (مستغربة)

هو أكد لك؟

غريبوي

نعم، هو أكّد لي، لأن للشرطي أصدقاء كثيرين. وهو يحبّنا، وتَسُرّه خدمتنا. أنت لا تعرفين.. أنا أرى بوضوح أكثر، وموقن أن العمدة والشرطي صديقان مخلصان لنا. وسيكون لك عمل قريبا.

كارولين

ان شاء الله.

غريبوي

وسنقبل كل هبة: خبزا، لحما، جبنا، بنّا.. أيّ شيء. كل مايؤكل.

كارولين

كل شيء... الاّ المال.

غريبوي

ليس بالضرورة: اذا كنت لاأحتاج مالا، لن اقبله. أما اذا بلى، فأعتقد بل أؤكّد أنني سأقصد السيد العمدة لطلبه.

كارولين

العمدة، أقبل. أما سواه، فلا. واياك أن تطلب منه بدون أن تخبرني.

غريبوي

واذا لم تقولي لي حين لايعود معك؟

كارولين

بلى. سأقول لك. أعدك. عندي، بعد، كمية كافية.

غريبوي

يعني...كم؟

كارولين

مئتا قرش من العمدة، ومئة وستون كنت ادّخرتها.

غريبوي

والمجموع؟

كارولين

ثلاثمئة وستون قرشا.

غريبوي (هاتفا وهو يقفز)

كم نحن من الأغنياء. فلنذهب الى السوق ونشتر بعض الحوائج.

كارولين

لا، غريبوي، لن نشتري الا الضروري منها. في وضعنا، يجب ألا

نصرف الا مانحتاجه للقوت اليومي.

غريبوي

كما تريدين. أنا لاأحتاج الان الا الى قطعة خبز، وشئ آخر معها.. كم أنا سعيد أن أكون في منزلنا.

كان غريبوي متألقا، يقفز، يرقص، يقبل كارولين التي كانت تبتسم وهي تنظر اليه.

كارولين (حاملة السلة)

هلم.

غريبوي (مصرا على أن يحمل هو السلة)

الى أين؟

كارولين

أولا عند الفران، ثم عند اللحام، فعند البقال، وأخيرا الى المزرعة لشراء الزبدة.

غريبوي

جولة كبيرة. سنصرف كل مالنا.

كارولين

لا. لاتخف. سأكون عاقلة ولن أشتري الا الضروري الملح.

غريبوي

ولم البقال؟ لاأحتاج الى سكر ولا الى الحلوى.

كارولين

ولا أنا سأشتري شيئا منها. بل شمعا وملحا وبهارا وصابونا وحوائج أخرى صغيرة ضرورية.

وبدأ الجولة عند الكاهن ليعلماه بأمر تركهما الخدمة لدى آل ديلمي، وسؤاله أن يهتم بايجاد عمل لكارولين.

الكاهن

اليك فورا عملا لك يا ابنتي: تلقيت منذ قليل قطعة قماش من أخي، يريد

بها قمصانا ومحارم. وأنا كذلك، في حاجة الى جبة ودثار لأيام الشتاء.
سأرسلها كلها اليك، فتعملين عليها في الايام الأولى، ريثما يأتيك غيرها.

غريبوي

الا تجد، حضرة الكاهن، أننا سعيدون في منزلنا أكثر مما لدى آل ديلمي؟

السيد العمدة طيب جدا، انما زوجته...

الكاهن (باسما)

... غريبوي ، لاأحب هذه الثرثرات. مع أنك قد تكون على حق، ولكن اذا وجـدت كارولين عمـلا لهـا، فأفضل حتما، لكما في منزلكما، من الخدمة في اي منزل آخر.

زيارة الى السجن

شكرت كارولين الكاهن، وخرجت مع شقيقها الى السوق. وعند انتهائها من الجولة، توجهت الى السجن لزيارة روز، فوجدت على الباب الشرطي ينتظر. هرع اليه غريبوي.

غريبوي

هوذا صديقي. أما زلت صديقي؟ لم تضحك؟

الشرطي

لأنني مسرور برؤيتك وبأن أكون صديقك.

غريبوي

سأريك ماذا اشترت كارولين.

كارولين

لايـاغـريبوي. ستضجر حضرة الشرطي بذلك. دعني أطلب اليه أن يقودني الى التاعسة روز.

الشرطي

تفضلي آنسة كارولين. سأرشدك اليها. غريبوي، انتظرني هنا. سأعود.

تقدم الشرطي كارولين وصعد بها بضع درجات وقطعا رواقا طويلا بلغا في آخره باب السجن. فتحه الشرطي فبانت روز ممدة على سرير، غافية.

الشرطي

تفضلي آنستي. سأبقى معك اذا كنت تخافين البقاء وحدك. واذا اعتدت عليك؟

كارولين

لاأظن انها تملك القوة لذلك. انها شاحبة وتبدو مريضة.

الشرطي

اسمحي لي اذن، قبـل أن أتـركـك هنـا، أن أكلمها لأتبين مزاجها. (وخاطبها) روز، هي ذي الآنسة كارولين جاءت تزورك. هل تستقبلينها؟

فتحت روز عينيها وتطلعت الى كارولين، فانهمرت دمعتان على خديها الشاحبين.

روز

كارولين، جئت تزورينني؟ كم أنت طيبة! طيبة جدا. وأنا كم كنت رديئة معك ومؤذية. سامحيني، كارولين، أنا بائسة ونادمة...

كارولين

أغفـر لك، ياعـزيزتي روز، من كل قلبي. أنا حزينة لالتقائك في هذا السجن الرهيب، وفي هذه الحالة الصحية المتردية.

روز

الله عاقبني وانتقم لك. كنت أنوي حرمانك من كل أغراضك وحوائجك. ذاك اللعين ميشال أمرني بسرقة ثيابك، وكنت أساعده على خرابك. كانت الخطة أن ندخل منزلك ونسرق كل ما فيه.

الشرطي

وماذا لو كانت الآنسة كارولين قاومت؟ لو صرخت؟

روز

ربما كان قتلها ذاك اللعين.

الشرطي

أيتها البائسة.. كان قتلها؟ هذه الطاهرة الرائعة.. هل يتجاسر و...

روز

أنا شديدة الندم أن أكون لطخت يدي في جريمة كهذه. كارولين.. كارولين.. سامحيني واغفري لي...

قالت روز ذلك وضمت يديها متوسلة، فانحنت عليها كارولين وقبلت جبينها المرضوض فأشرق وجه روز وأخذت يد كارولين فحملتها الى شفتيها وقبلتها وهي تشهق بالبكاء.

روز

آ.. كم الشرطي على حق.. أنت طاهرة رائعة.. كارولين، ساعديني في ندمي. أريد أن أقابل الكاهن قبل أن أموت.

كارولين

ستقابلينه. ولن تموتي. حضرة الشرطي عزيزي السيد بورجيه، هل لي أن اتمنى عليك اصطحاب الكاهن؟

الشرطي

آنستي كارولين العزيزة، مستحيل. لايمكنني أن أترك مركز وظيفتي. أنا الوحيد الآن في حراسة السجن. ويوجعني كثيراً أن أعتذر عن تلبية طلبك. لكن الواجب يأتي دائما فوق كل اعتبار.

كارولين

الحق معك. غفلت عن ذلك. ولكن، كيف العمل الآن؟

الشرطي

ماذا لو أرسل غريبوي؟

كارولين

حسنا. أرسله. وليسرع.

استدار الشرطي فورا، والتقى غريبوي في قاعة الانتظار، فأرسله لاصطحاب الكاهن الى روز المحتضرة. وقبل أن ينطلق، أعطى غريبوي السلة الى الشرطي.

غريبوي

احتفظ بهذه. فيها مشترياتنا. لاتدع أحدا يلمسها. ولاحتى أنت.

الشرطي

اطمئن ياصديقي، لن يمسها أحد. أما أنا فأفضل الموت جوعا على مس قوت شقيقتك. وبعد انصراف غريبوي مسرعا، رفع الشرطي غطاء السلة، فتأثر بمحتوياتها الزهيدة، ولم يغلق الغطاء الا بعدما أضاف نصف دجاجة وبيضتين طازجتين وحقاً من عصير العنب. ثم وضع السلة في خزانة مقفلة، والتحق بغرفة السجن.

روز

... وهكذا ياعزيزتي، نصيحتي اليك: احذري من ميشال. قد يؤذيك. معه مفتاح الباب الخلفي لمنزلك. أيها الشرطي، اسهر على كارولين وحاول إلقاء القبض على ميشال، هذا اللعين الذي وعدني بالزواج مني ثم أخذ ينهال علي بالضرب حتى سبب لي موتي بضربة أخيرة قاتلة. كارولين، لاتتركيني. حضورك يقويني. أواه لو يصل الكاهن سريعا.

الشرطي

سيحضر حالا. ذهب غريبوي يستدعيه.

وفعلاً، بعد دقائق وصل الكاهن لاهثا من دون أن يفهم سبب

استدعائه. وحين رأى روز، عرف أن لم يعد لها من العمر سوى دقائق. فأخرج كارولين والشرطي كرسيا، والتحق بغريبوي الذي كان يبحث عن السلة بقلق ظاهر.

الشرطي

(فاتحا الخزانة) انها هنا. لاتخف. أنا حارس أمين.

فتح غريبوي السلة ففوجىء:

غريبوي

من أضاف كل هذا؟

الشرطي

أنا، ياصديقي. لابد انكما في اليوم الاول غير مجهزين كليا. وحتما لن يكون لكارولين الوقت كي تشوي اللحم. لذا سمحت لنفسي أن أضيف بعض الحوائج.

غريبوي

شكرا أيها الشرطي. أنت صديق وفي. هذا واضح. أنا ممتن لك ولو لم يبد هذا علي. سأحاول أن أبادلك المعروف. أنا مستعد أن أموت من أجلك.

الشرطي

لاتمت من أجل أحد ياصاح. بل عش من أجلنا. اذا مت، ستكون كارولين حزينة جدا.

غريبوي

ستبكي.. ولكن، ستعزيها أنت وتكون أخاها مكاني. هل تعدني؟

الشرطي

أعدك: سأتفرغ لها فلا أعود أتركها... اذا هي رضيت.

غريبوي

بل تتمنى. انها تحبك كثيرا. أحس بهذا كلما تحدثنا عنك.

الشرطي

كيف؟!؟ ماذا تلاحظ كلما تحدثتما عني؟

غريبوي

لاحظ أن هذا الحديث يهمها فتبتسم وتتعزى. ولو كنت مكاني معها دائما، لكنت أسعد بأن أموت.

الشرطي

ولكن لماذا تتكلم دائما على الموت؟ مازلت فتى، وصحتك ممتازة.

غريبوي

صحيح. انما، حين أنام، أرى أمي، الجميلة البهية، محاطة بهالة من نور، وحولها جمع من الملائكة يأخذون ينادونني. يقتربون مني، ولكنهم لايستطيعون اصطحابي. أمس، تخبطت كثيرا لأذهب معهم فلم أستطع. لمسني أحدهم ويدعى ملاك الموت. وفي هذه اللحظة، وصلت أنت فقطعت لي كل صلة بالأرض، وطرت مع الملائكة الذين حملوني الى أمي. كنت سعيدا جدا. ولكن... لو تعلم... حين وصلت قرب أمي، رأيت جاكو تترصدني بعينين ثائرتين. كان الملائكة يطردونها. فرحت أضحك بفرح. آه كم كنت فرحان. تمنيت ألا أغادر المكان... و... لهذا أريد أن أموت. وأعتقد أنني سأموت قريبا.

كان الشرطي يصغي الى غريبوي وهو يداعب شاربيه. وبقي الاثنان صامتين لحظات...

الشرطي (متمتما)

غريب!!! هل يكون هذا الحلم انذارا؟ أم حدسا؟ مسكينة كارولين... لن تستطيع أن تبقى وحدها.

غريبوي

الم أقل لك منذ لحظات انها لن تستطيع ان تبقى وحدها؟ يجب أن يبقى أحد بجانبها: أنت أو السيد ديلمي. وأنت وعدتني الاول.

الشرطي

واعدك الاخير. سأكون كأخيها تماما.

الكاهن (داخلا)

بدأت روز دقائق الاحتضار الاخيرة. لم تعد تسمع ولاتتكلم. وهي تموت في شعور هانىء.

منحتها المسحة الاخيرة. آمل أن يغفر لها الله. وهي طلبت مني أن ابوح لك بخبر مهم أيها الشرطي: يبدو أن ميشال يخطط للدخول هذه الليلة الى منزل كارولين بنوايا مخيفة. فهو يعرف أنها تعود الى منزلها

حاملة بعض المال، ويريد سرقتها وربما قتلها. يجب ألا تنام كارولين في منزلها حتى يتم القبض على ميشال. ويجب أن يكون أحد رجالك هناك طوال الليل ليقبض عليه. سآخذ كارولين الى منزلي فتبيت ليلتها مع ابنة أختي. ولكن، ماذا نفعل بغريبوي؟ هل تتولاه أنت؟

الشرطي

بكل سرور. وشكرا على تنبيهك اياي . سينام غريبوي عندي، بل في سريري، فيما أسهر في منزل كارولين حتى نعتقل هذا المجرم ميشال.

غريبوي

لا. لاأريد البقاء وحدي. سأكون معك، حضرة الشرطي، لأساعدك في السهر على المنزل.

الشرطي

ياغريبوي الطيب، لن تستطيع مساعدتي. على العكس، تضايقني.

غريبوي

لا. لن أضايقك. أرجوك. دعني أذهب معك . بدون كارولين، لاأرتاح الا معك. أشعر أن سوءًا سيصيبك بدوني.

الشرطي

طيب هذا الولد! أخشى أن يذهب سهرك سدى.

غريبوي

لا. لن يذهب سدى. ساكون سعيدا. وسنمضي ليلة سعيدة، كشقيقين.

الشرطي

حسنا. بما أنك تصر، أعدك بأنك ستأتي معي.

عاد الشرطي والكاهن الى السجن، فوجدا كارولين جاثية قرب السرير، تردد صلاة الموتى قرب روز، فجثوا الى جانبها وصليا معها. ولدى الانتهاء، لمس الكاهن جفني المحتضرة التي لفظت لحظتئذً رمقها الأخير. ثم ساعد كارولين على النهوض.

الكاهن

هلمي ياابنتي. انتهى كل شئ. ها هي روز ذهبت تلاقي وجه ربها الذي سيحميها بعدله وغفرانه.

كارولين

ولكن... لايمكن ترك روز وحدها. يجب تكفينها والسهر عليها طوال الليل، والصلاة لأجلها.

الكاهن

سيتم كل ذلك، ياابنتي. سأصحبك الى منزلي فتبقين مع ابنة أختي، وأجيء بخادمتي نانون لتقوم بكل ماذكرت. وأنا سأسهر على جثمانها.

الشرطي

حضرة الكاهن، لايمكننا تكفينها قبل أن يصل الطبيب ويؤكد الوفاة، ويتبين الجروح البالغة التي سببتها.

الكاهن

هذا عملك أيها الشرطي البارع. اذهب الى الطبيب الشرعي أو أرسل من يجيء به. سأعود بعد ساعة، ومعي خادمتي. هلمي كارولين معي.

انصاعت كارولين لرغبة الكاهن واصطحبته، وطلبت أن تعرج على بيتها لتخفف قليلا من انفعالها، وتحضر الطعام لشقيقها، وتستريح قليلا.

الكاهن

لايمكنك ذلك ياعزيزتي. سيحتل رجال الشرطة منزلك لالقاء القبض على ميشـال الذي ينوي اقتحامه الليلة لسرقة اغراضك ومالك. لايمكنك البقاء فيه. أما غريبوي، فسيتولى أمره الشرطي.

لم تعترض كارولين، وانسحبت شاكرة للشرطي مساعدته. وماهي إلا دقائق، حتى كانا في منزل الكاهن، حيث كانت خادمته نانون تنتظر.

نانون

نانون

هه! هذا أنت؟ خلتك ستتأخر أكثر. العشاء جاهز منذ ربع ساعة.

والآنسة بيلاجي ليست مسرورة منك. أنبهك.

الكاهن

ولا أنت، على مايبدو لي. ولكن، هذه المرة، ليس ذنبي.

نانون

ولامرةً يكون ذنبك. هذا معروف. دائما تملك أسبابا مقنعة.

الكاهن

لأن أسبابي دائما صائبة.

نانون

هه! حجة أخرى. ولامرة أستطيع أن أفحمك.

الكاهن

لكنك كثيرة العتب علي.

نانون

لأن حججك غريبة. ولماذا تصطحب معك كارولين؟ ولم انت متأخر عن موعد العشاء؟ لم تقدم لي حججا على ذلك.

الكاهن

أصطحب كارولين للعشاء والنوم و...

نانون

... وهذه الآن فكرة جديدة. ألا يكفيك من عندك في البيت؟ أين تريدني أن أفرش لها كي تنام؟ وهل من غرفة في هذا المنزل خالية بعد؟ هل أعطيها غرفتي وأنا أنام في بيت الارانب؟

الكاهن (بمرح)

لا. لن تنامي في بيت الأرانب. ستنامين في سريرك، وكارولين لن تزعج أحدا. ستبيت مع رفيقتها بيلاجي التي تحبها.

نانون

وأنا؟ ألا أحبها؟ هل رفضت لها مرة طلبا؟ ولكن... لم اصطحبتها الى هنا ولم تدعها تنام في بيتها؟

الكاهن

لأنها في حاجة الى اهتمام ورعاية بعد الذي شهدته. ماتت روز على يديها في السجن، حيث قضت كارولين بعد الظهر كله تعتني بها وتؤاسيها.

نانون

ماتت روز؟ يبدو أن جرحها كان بليغاً وقاتلا. هذا نبل من كارولين أن تخدمها. كم أنت طيبة يا ابنتي. سيعوض الله عليك. ونحن هنا سنعتني

بك. كم أنت شاحبة!

كارولين

أصر حضرة الكاهن، رغما عني، أن أبيت ليلتي هنا. أنا آسفة لهذا الازعاج. فليسمح لي حضرة الكاهن بالانسحاب. سأبقى مع أخي، أو أبيت عند السيد ديلمي، فهو مازال يستقبلني.

نانون

وماحاجتك بالسيد ديلمي مادمت أنت هنا؟ وأنا هنا. وبيلاجي.

الكاهن

وانما منك أنت تريد أن تهرب. لشدة ماتنهرين. كيف تريدين ألا تبحث عن ملجأ آخر، حين تلقاك بهذه الشراسة؟

نانون

أنا آسفة! تعالي يابنتي، ولاتخافي. لاتصغي الى الكاهن فهو يهذر أحيانا. ولكن كل هذا ياحضرة الكاهن لايبرر تأخيرك في العودة الى البيت.

الكاهن

كنت الى جانب روز في ساعتها الأخيرة. هل أدعها تموت بدون المسحة الأخيرة؟ ستعودين معي، الليلة، الى هناك، بعد العشاء: أنت تكفنينها وأنا أصلي لراحة نفسها.

نانون

هل أفهم أنك ستمضي هناك الليل كله، فترهق جسمك كالعادة؟

الكاهن

لا، لاتخافي. لن أرهق جسمي. سأقضي الليل في الصلاة على روحها. مسكينة.

نانون

دائما حجج... ودائما هو الذي على حق. لست أدري ماذا أسمي هذا المزاح.

الكاهن (بمرح)

انها المحبة. كفي الآن عن هذه الثرثرة. أين بيلاجي؟

تقدمتهما نانون مدمدمة. هي دائما هكذا، لكن لها خلف هذه التصرفات عطفا كبيرا على سيدها، وغيرة على من يحتاج منها مساعدة. لذا، أضافت، مع صحون المائدة، نبيذا لكارولين حارا يفيدها، وقهوة للكاهن. وجاءته بدثاره كي لايلفحه البرد في الليل، ووضعت في أحد جيبيه كمية طازجة من التبغ.

استقبلت بيلاجي صديقتها كارولين بحرارة.

بيلاجي

سنمضي قسما من الليل نصلي لروز. غداً خالي يصلي عليها ونصلي معه على روحها. وشكرت كارولين صديقتها بيلاجي على حسن ضيافتها.

أكلت قليلا، بينما الكاهن المعتاد على هذه المشاهد، أكل حتى شبع، إرضاء لنانون التي تراقب أكله دائما.

نانون

كُل ياحضرة الكاهن. كُل جيدا. فأمامك ليل طويل. أنت لاتنام حين تصلي. على عكسي، فأنا حين يداهمني النوم، أغفو. كُل بعد من هذا الحساء. اكراماً لي. ألا يعجبك طهيي؟ واليك القهوة كي تختم. وبعض ماء الحياة.

الكاهن

لا. لاأريد من ماء الحياة.

نانون

بلى. كأس واحدة تفيدك. لو لم أكن أنا هنا وأهتم بك، لكنت مرضت من زمان.

الكاهن

ولن يكون مرضي كارثة على كل حال.

نانون

رباه.. دائما جوابه تحت ابطه. «لن يكون مرضي كارثة».. وماذا سيكون مصير الفقراء في الحي والمرضى والبؤساء وكل من يحتاج اليك بجانبه؟ وأنا؟ وابنة أختك؟ ألا تحسب لنا حسابا؟ لاتكن أنانيا. تكلم هكذا. تفضل. خذ قهوتك، ومعها بعض قطرات ماء الحياة. وأنا كذلك سآخذ قليلا لأتقوى. أتسمح؟

الكاهن

خذي واقوي كي لاتمرضي. وهل تنتظرين إذنا مني؟ كل ما لي في هذا البيت هو لك. خمس وعشرون سنة ونحن معا هنا، وتهتمين بي وتتعبين في خدمتي.

نانون

لاتعدد كل ذلك. لم أقم الا بواجبي.

الكاهن

هلمي نذهب. بيلاجي، أوصيك بكارولين. الى الغد يابنتي العزيزتين..

كارولين

حضرة الكاهن، كرر على الشرطي أن يهتم جيدا بأخي. أعرف أنه لن يقصر، لكن أخي يحتاج الى عناية خاصة. قل له ألا يتركه، حتى يعود.

الكاهن

سأفعل يابنيتي، ولو كانت توصيتي لن تزيده حرصا على حرصه. فالشرطي رجل رصين وجدي ومسؤول، يمكنك أن تثقي به. وسيكون غريبوي لديه في أمان وحماية، كما لو كان معي أو معك.

وخرج الكاهن مع نانون التي حملت له دثاره.

نانون (متمتمة)

ترعبني فكرة قضاء ليلة كاملة بجانب امرأة ميتة. ألم يكن مفيدا لها أن يصلي على روحها في غرفته وفي سريره؟ ماهذه المهمة الشاقة! يريد دائما أن يكون مختلفا. لا أتحمل أن أتصورني جالسة قرب رأس ميتة، ليلة

كاملة. ولماذا علي أنا أن أكفن هذه المرأة؟ أية فائدة لها وأية فائدة لي؟ دائما هكذا. أنفذ كل مايريده ولاأناقش.

الكاهن

نانون، أنا أسمعك. هذا عمل خير أدعوك اليه. هذه المسكينة التي ماتت مقتولة وفي السجن، نادمة ومتروكة، تحتاج روحها الى مشاركتك ورحمتك.

نانون

أنا حاضرة، حضرة الكاهن، انما هذه أفكار تجول في رأسي. لن تتكرر. سأمشي الى جانبك صامتة. انما هذا الدثار الثقيل...

الكاهن

... ولماذا أتيت به؟ أنا لن أحتاجه.

نانون

بلى، والا ستمضي ليلتك في هذا السجن، وأنت ترتجف من البرد، فتمرض.

الكاهن

اذن، هاتيه أحمله. والاجدى أن ألبسه طالما حملته لأجلي. شكرا لك.

نانون

لاشكر على واجبي بافتكاري فيك طوال الوقت، لأنك لاتهتم بنفسك. لا دعه معي.

الكاهن

كما تريدين. تعرفين أنني لست الآمر دائما.

نانون

ومن اذن؟ أنا؟

الكاهن

غالبا... هه! لقد وصلنا. فلننه هذا الحوار، ولنر اذا كان الطبيب أنهى

مهمتـــه. ودخـــل الكـــاهن، تتبعه نانون، حيث كان الشرطي وغريبوي ينهيان العشاء.

الحس

كان الطبيب قد وصل، فور مغادرة الكاهن، ليتفقد مريضته. لم يفاجأ بموتها، ووضع تقريره مؤكدا أن الوفاة ناجمة عن الضربة على رأسها، وعن كسر في أحد ضلوع صدرها، وعن شدة النزف من جراحها المختلفة في مختلف أنحاء جسمها. بعد خروج الطبيب، شكا غريبوي من الجوع.

الشرطي

هذا ألم، علاجه بسيط: سنتعشى. انما طعامنا بارد لأن الوقت لم يتح لي أن أسخنه.

غريبوي (فاتحا السلة)

هنا نصف الدجاجة والبيضتان، ماأعطيتنيه هذا الصباح. كارولين تتعشى عند الكاهن وأنا أتعشى معك. مع الأسف، لن تذوق هذه الدجاجة الشهية.

الشرطي

الحق معك. كنت أتمنى أن تكون معنا هي أيضا. هيا، فلننتقل الى الطاولة ونأكل الدجاجة، فيما أسلق البيضتين.

وسحب الشرطي خبزا من الخزانة، وزجاجة نبيذ، ومد الطاولة مع غريبوي الذي راح يأكل في ارتياح.

غريبوي

لم آكل يوما بهذه الشهية، ولاشعرت يوما بهذا الفرح وهذه الغبطة. عندي شعور مسبق أن قد يحصل لي حدث مهم وسعيد. أيها الشرطي، أنا أحبك كما أحب كارولين. هل يسرك هذا الكلام؟

الشرطي (مبتسما وشادا يده)

كثيرا... ولكن، ألا يخيفك شارباي؟

غريبوي

أبدا. بل أجدك طيبا وأليفا.

الشرطي (مبتسما أيضا)

ستثير غروري بمديحك.

غريبوي

بمدحي؟ وهل تسمي كلامي مديحا؟ حسنا: أحب أن امدحك. ولكن كلامي صادق ولامداجاة فيه. صدقني.

وراح غريبوي يفكر، وكذلك الشرطي. ثم...

غريبوي

أيها الشرطي، لم أتمن لكارولين ليلة سعيدة كالعادة كل مساء. يجب

أن أذهب واقبلها قبل النوم.

الشرطي

لايمكنك الخروج وحدك. الليل كثيف في الخارج. أنا أتلقى قبلتك عنها.

غريبوي

اذن، هلم معي. أنت أيضا تتمنى لها معي ليلة سعيدة. وستسر بهذه البادرة.

الشرطي

أنـا لاأستـطيـع ياصديقي. يجب أن أبقى هنا حتى يصل الكاهن. الواجب فوق كل اعتبار.

غريبوي

وحين يأتي حضرة الكاهن؟

الشرطي

عندئذ يمكنني الذهاب معك، ونعود الى منزلك لقضاء الليل وانتظار هذا اللعين ميشال.

سبقنا واحد من رجالي، وهو مختبىء في المحطبة. سندخل المنزل وننتظر فيه.

في هذه اللحظات، وصل الكاهن ومعه نانون.

الكاهن (داخلا)

هل جاء الطبيب أيها الشرطي؟

الشرطي

تم كل مايجب، وفق الأصول. يمكن نانون أن تقوم بالتكفين.

نانون

وكيف أقوم به وحدي؟ وفي هذا السجن القاحل المظلم!

الشرطي

المظلم؟ نضيئه بشمعة. وحدك؟ سأنادي زوجة رفيقي بريفو تساعدك.

وخـرج الشرطي ليعود بعد دقائق مصحوبا بزوجة بريفو، وهي ممن ترضى عنهن نانون. دخلت المرأتان غرفة السجن وبدأتا بالعمل.

الكاهن (وهو يجلس)

اقترب مني ايها الشرطي، ولنتحدث في موضوع جدي يهمك.

الشرطي

آسف أن أفعل، حضرة الكاهن: وعدت غريبوي أن أرافقه عند أخته ليتمنى لها ليلة سعيدة.

الكاهن

سيراها غدا. فلنتحدث الآن. غريبوي، دعنا وحدنا قليلا.

غريبوي

آسف، حضرة الكاهن، يجب أن أقبل أختي. واذا لم أفعل، سأشعر بألم شديد.

الكاهن

ماهذا التصرف الصبياني! أتنسى أن لك ستة عشر عاما، وبت على عتبة الرجولة؟

غريبوي

وهل هذا عذر أو سبب لأنسى أختي؟

اتعتقد أنني حين أصبح رجلا، لن أعود أقبل أختي؟ هل سأتركها؟ الشرطي وعدني بمرافقتي لأنه لن يدعني أخرج وحدي في هذا الليل.

لن يطول غيابنا وتتحدثان لاحقا.

الكاهن

اذن، الى الغد أيها الشرطي، لأنني عند عودتكما سأكون في صلاتي داخل غرفة السجن بقرب جثمان روز.

صافح الشرطي الكاهن بأسف واعتذار على عدم مشاركته الجلسة، ثم خرج مع غريبوي. ولدى وصولهما الى بيت الكاهن، بقي الشرطي على

الباب، ودخل غريبوي لحظات، ثم عاد محمر العينين.

الشرطي

مابك؟ كأنك تبكي.

غريبوي

نعم أبكي. شعرت ـ وأنا اتمنى لكارولين ليلة سعيدة ـ كأنني اقبلها لغياب طويل. أشعر أنني حزين هذا المساء، غيري كل مساء، وأرغب في توديع كل من أحبهم: العمدة والكاهن وحتى نانون. ومايعزيني في حزني: أن أكون معك.

الشرطي

هذا احساس طبيعي لأنك لست معتادا أن تنفصل عن أختك. تشجع! سترغمني على قول ما قاله لك الكاهن: «ستصبح رجلا فما بك مائع كولد»؟

غريبوي

سأحاول. ولكن الحزن ينوء على قلبي.

مرر الشرطي يده بحنو على رأس غريبوي الذي مد له يده، وانطلقا في صمت. كان الليل كثيفا وعاصفا، والرعد يهدر في البعيد، والهواء بدأ يهز أغصان الشجر، والحر شديدا. لم ينتبه الشرطي الى أنه ـ لاشعوريا ـ تجاوز السجن، متوجها الى منزل كارولين وغريبوي. بلغه، وكان العتم كثيفا جدا، والعاصفة تقوى فتتيح له الدخول بدون ضجة منه. بلغا الباب وكان مفتاحه مع غريبوي فتناوله الشرطي وفتح بدقة وحذر. دخل غريبوي أولا، وتبعه الشرطي فأقفله وراءه.

الشرطي

فلنقفل مصاريع النوافذ: اذا أطل يتنبه الآتي الى هنا أنها مفتوحة فيشتبه أن في المنزل أحدا.

غريبوي

وأين ستمضي الليل؟

الشرطي

على كرسي. أنا لست هنا لأنام، بل لأسهر.

غريبوي

سأبقى على كرسي بجانبك. لارغبة لي في النوم.

الشرطي

على العكس، نم، لاداع لسهرك.

غريبوي

تسهر وحدك؟

الشرطي

أنا معتاد. هذا من وظيفتي. ومن أجلها أسهر.

غريبوي

ومن أجل كارولين ومن أجلي. ألست أخاها؟ أليس من واجبي أن أساعدك على السهر من أجلها؟ وألا يجب أن أسهر لأخبر كارولين كيف سهرت

أسهر لأخبر كارولين كيف سهرت وقبضت على ميشال؟

الشرطي

كما تريد. لاأحب أن أعترض على ماتحب.

غريبوي

شكرا أيها الشرطي. أحس أكثر فأكثر كم أنت صديقي. كما أحس أنني سأكون الليلة مفيدا لك.

الشرطي

ستكون دائما مفيدا لي ياغريبوي الطيب. خاصة الليلة، وأنت مصر على مسامرتي.

غريبوي

اذن يهمك أن تعرف أنني أحبك.

الشرطي

بل يغبطني. أنا تيتمت منذ طفولتي، ولم أعرف صديقا حقيقيا أحبني. لذا، تغبطني صداقتك الى هذا الحد.

الوفاء التام

الى هنا كانا وصلا في هذا الحوار الهامس، حين لاحظا باب المغسل ينفتـح بتؤدة، ويدخل منه رجل حاملا قنديلا خفيض الضوء. عرفه الشرطي: انه ميشال. وقف غريبوي بجانب الشرطي. وفي صدد بحث ميشال عن صندوق مال كارولين، توجه الى حيثما كان يقف الشرطي. ولمع نور القنديل على وجهه، فعرفه ميشال وصرخ صرخة غضب هائلة. وتنـاول بسرعـةٍ مسدسه وصوب فوهته الى صدر الشرطي الذي كان يتحفـز للوثوب على اللص. تنبه غريبوي الى مايفعله ميشال، فاندفع حاميا بجسده صدر الشرطي. وقبل أن يتنبه الشرطي بدوره الى حركة

ميشال، كانت الرصاصة انطلقت من المسدس، فهوى غريبوي صارخا:
غريبوي
أنقذته. كارولين، لقد أنقذته.
فصرخ الشرطي: «أيها الوغد الحقير» ووثب يطارد اللص، فلم يطل به الركض حتى قبض عليه، لأن ميشال، في ركضه المذعور، ضل فدخل في الحديقة المسورة بحاجز عال من الشوك. حاول المدافعة عن نفسه، بسكين سحبه من حزامه، لكن الشرطي سدد له ضربة قوية على رأسه أطاشته ورمته أرضا.
الشرطي (ضاغطا بركبته على صدر ميشال)
الي يارفيقي، وجئني بالحزام لنوثق هذا المجرم. اني قابض عليه. لم يكن الشرطي المعاون رأى شيئا، لكن طلقة الرصاص كانت قد جذبته الى الغرفة، فرأى غريبوي يتخبط في دمه، ومع ذلك يبتسم.
غريبوي (بصوت مخنوق)
لقد أنقذته. أنقذت صديقي. أنا سعيد. انه ينادي. ألا تسمعه؟ انه يناديك. دعني واذهب اليه.. أسرع.
حاول الشرطي المعاون - على ضوء القنديل الذي تركه ميشال في الغرفة - أن يحمل غريبوي ليمدده على السرير. فسمع صوت الشرطي، وأعاد الفتى الجريح الى الارض، وخرج الى حيث كان يسمع صوت رئيسه وتجديف ميشال. وفي خمس دقائق، كان ميشال موثقا، وفي حراسته الشرطي المعاون، فيما هرع الشرطي الى نجدة غريبوي. فتح جميع المصاريع ليدخل منها ضوء القمر المطل من بين الغيوم. وأفاد من هذا النور ليسعف غريبوي بما يستطيعه. ثم رفعه بتأن كي لا يزيد نزفه، ومدده على السرير الذي شهد آخر نبض من قلب السيدة تيبو، ونزع عنه ملابسه المضرجة بالدم، وعصب جرحه بمنديله. وحين توقف نزف الدم، عاد الى بعض وعيه بعد غيبوبة قصيرة، فرأى صديقه

الشرطي بوجهه المذعور يحاول إسعافه بالماء البارد، الاسعاف الوحيد الذي وجده في هذا البيت المهجور منذ فترة.

غريبوي

أيها... الشرطي. أنا... سعيد... أن أكون... سأموت بعدما... أنقذتك. أنا... سعيد... وأنا... أحبك.

الشرطي

لاتتكلم. الكلام يجهدك! كل كلمة تقولها تزيد نزفك. غريبوي.. ياصديقي.. أي وفاء عظيم أبديته! أية شجاعة! كيف أنقذك؟ لايمكنني أن أدعك وحدك. لاأستطيع ترك ميشال في عهدة معاوني وحده.

كان الشرطي في قمة قلقه، يفتل شاربيه ويفكر في مخرج. وفجأة، هرع الى النافذة وصرخ

الشرطي

بريفو، جيء بهذا اللعين الى هنا. واذا قاوم، اجلده بالهراوة.

بريفو

سيقاوم. انه يجدف ويثور كثور هائج.

الشرطي

اجلده وجره الى هنا.

نفذ بريفو: كمّ فم المعتقل وجره الى الغرفة حيث غريبوي المحتضر والشرطي الشديد التأثر.

بريفو

أين أضعه؟

الشرطي

في هذه الزاوية كالكلب. أسرع الى السجن وأخبر الكاهن بكل ماحصل. وليأت فورا ثم اهرع الى الطبيب واصطحبه ولو مرغما. هيا تحرك.

خرج بريفو، فاقترب الشرطي من ميشال متفقدا وثاقه، وشادا اياه باحكام أكثر، ثم رفسه فتدحرج الى الزاوية، وعيناه تقدحان شررا

مخيفا، لكن الشرطي لم ينتبه اليه، بل عاد يجلس الى سرير صديقه الجريح، عين عليه والأخرى على اللص المكبل.

غريبوي

أريد ... أن... أرى... حضرة الكاهن...

الشرطي

سيأتي حالا. أرسلت في طلبه.

غريبوي

شكرا... حين... يطلع النهار... أريد... أن... أرى... كا..رو.. لين.

الشرطي

سأصحبها اليك بنفسي.

غريبوي

و... لن...تتـركهـا... ستكـون... أخـاهـا... مكاني.. ولن.. تتركها وح..دها... أ..ب..د أ.قل...عدني.. بذلك.

الشرطي (بحرارة)

أعدك. أقسم لك. لن أتركها أبدا، الا اذا رفضت.

غريبوي

بل... ستقبل... انها... تحبك... أعرف... ذلك. كانت.. تبتسم.. كلما قلت لها... انك... آت.

الشرطي

غريبوي، أرجوك، لاتتكلم. ستزيد نزفك.

غريبوي

لا.. على العكس... يسعـدني أن أكـون قلت.. ماقلتـه... مسكينة.. كارولين... قل لهـا.. الا.. تبكي.. وانـك.. تحبهـا.. وانك ستكون.. أخاها.. مكاني... لا... تنس.

مكاني... لا... تنس.

واطبق غريبوي عينيه فيما الشرطي يراقبه بحنان جم.

الشرطي (مفكرا)

لم أشعر مرة في حياتي بهذا التأثر ولابهذه الرغبة الشديدة في البكاء مسكـين هذا الولد. ارتمى علي ليحمي بجسده صدري من رصاصة قاتلة. ضحى بحيـاتـه لينقـذ حيـاتي! أين أجد صديقا وفيا كهذا؟ ويسألني ألا أترك أخته؟ حتما لن أتركها، وفاء لخسارتها اياه من أجلي وبسببي. كارولين! أية تقوى! أية طيبة! أية تضحية من أجل شقيقها! أي ترتيب في عملها وتدبير في مصروفها! أية بساطة في هندامها!

غريبوي (فاتحا عينيه)

أيها الشرطي، رأيت أمي... انها... تنتظرني... كما.. قبل أيام... تقول لك انها... تباركك.. وأنك.. ستكون.. ابنها... و... أخي.

الشرطي

أجل غريبوي، أنا أخوك وسأبقى أخاك. ولكن لاتتكلم. الكلام يؤذيك.

غريبوي

لا... حين... أرى... كا..رو..لين استطيع.. أن.. أموت.

ارتعش الشرطي، وابتسم غريبوي.

غريبوي

مم تخاف؟ أنا سعيد أن أموت... ليس مؤلما.. أن... أموت.. سنكون على... خير ما.. يرام.. فوق... أمي.. سعيدة.. و.جميلة.. جميعهم.. فوق. شموس.. وحدها.. جاكو. بومة الليل.. و..بشعة.. يطردونها.. قبل لحظات.. كنت.. أضحك.. كانت.. غاضبة.. و.. مرذولة...

وابتسم غريبوي لذكر غضب جاكو وبشاعتها.

انفتح الباب ودخل الكاهن شديد التأثر.

الكاهن (مقتربا من المحتضر)

اذن، صحيح يابني المسكين...

غريبوي

لا... لست مسكيناً.. بل.. سعيد.. فكر.. أنني... أنقذته.. ماهذه...

السعادة... لن.. تكون.. كا..رو..لين.. وحدها.. وعدني.. الشرطي..
أليس.. كذلك.. يا.. أخي؟

الشرطي

طبعا.. طبعا.. والآن.. أمام الكاهن أجدد لك وعدي الذي سيسعدني به لا أن أكون أخاها فقط، بل... زوجها. زوج أختك الطاهرة الرائعة!

غريبوي

زوجها!؟! صحيح؟؟؟ هذا.. أفضل.. أفضل.. وسيكون.. لكما.. عرس؟ وسأحضره.. مع.. أمي؟ ولكن.. لن.. ترونا.. سأكون.. حتما.. وسأبارككما...

الكاهن

أيها الشرطي، استفد من وجودي هنا، لاستدعاء اثنين من رجالك ينقلان السجين، وسأذهب لمقابلته في السجن. سيأتي بريفو بالطبيب، وأنا أبقى مع غريبوي.

خرج الشرطي واثبا، وعاد بشرطيين معاونين يتوليان أمر ميشال، فأوثقاه بحبل في رقبته، وفكا رجليه وأمسكاه كل من جهة، وجراه وهما يجلدانه بالهراوة. ولم يخرج، قبل أن أطلق بضع شتائم للشرطي والكاهن وغريبوي، وخاصة روز التي كان يجهل نبأ موتها، ويشك بأنها خانته وسلمته.

الشرطي

ها قد تخلصنا من وجود هذا الوحش. لم أشعر مرة بالحقد على أحد في حياتي كما على هذا المجرم قاتل أخي غريبوي.

الكاهن

ومع ذلك، عليك أن تغفر له لتكون في ملكوت الله.

الشرطي

أغفر لقاتل أخي وصديقي؟ هذا أقوى من احتمالي.

الكاهن

بل ستبلغ حين ستجد من سميتها «الطاهرة الرائعة» تغفر له.

الشرطي

ربما. قل لها انني أحتاج الى حضورها لأبلغ هذا الغفران، ولتصحح جميع أخطائي.

الكاهن

سأقول لها. ولكنني أعتقد أنها لاتجدك سيئا مثلما أنت. هكذا.

أخيرا، وبعد طول انتظار، وصل الطبيب، فأخذ يد الجريح، ودنا من صدره يتفقد تنفسه ويتفحص الجرح.

الطبيب

الوجه لايدعو الى القلق. الخطورة هي في عمق الجرح. اذا لم يكن بلغ التعقيدات الخفية، قد نتوصل الى انقاذه.

الكاهن

أرجوك، سيد تودو، بدد قلقنا ولاتضع الوقت. ضمد، بسرعة، جرح غريبوي.

الطبيب

صبراً... فلا تفقد الجرح وأتتبع الرصاصة.

وسحب أدواتــه متفقدا الجرح، فاكتشف أن الرصاصة استقرت في

العمود الفقري، من حيث لايمكن استئصالها. وألقى على الشرطي نظرة مبــطنة هامسا له: «لاأمل. لن يعيش حتى آخر هذا النهار. فليمنحه الكاهن مسحة الموتى الأخيرة».

وألقى الشرطي على صديقه نظرة أليمة، فيما غريبوي كان لايزال يحتفظ بوجهه الهادىء الباسم.

الطبيب

أتشعر بألم أيها الفتى؟

غريبوي

قليلا. خاصة في ظهري حين أتحرك.

الطبيب

وفكرك، هادىء؟ هل مايقلقك أو يثيرك؟

غريبوي

لا... أبدا... سعيد... أنقذت... صديقي.. أتعتقد.. أنني.. سأموت؟

الطبيب

ليس مايؤكد ذلك. قد تشفى.

غريبوي

ا..تظن؟ أنا.. أعتقد.. أنني.. سأموت.. اليوم.. رأيت.. أمي.. وقالت لي.. ذلك.. أنا.. سعيد.. انما.. أريد.. أن أرى.. كا..رو..لين هو ذا النهار.. طلع.. أيها.. الشرطي.. يا.. أخي.. قل لها.. أن تأتي.. أريد.. أن.. أكلمها.. و..أقبلها..

الشرطي

أليس من الأفضل، حضرة الكاهن، أن تستدعيها أنت، وتخبرها، وأنا أبقى هنا بجانب غريبوي؟

الكاهن

بعد قليل. فلتنم بعد. سأبقى دقائق بقرب هذا المسكين، أكلمه.. أيها الشرطي، أيها الطبيب، أتركاني قليلا وحدي مع غريبوي. ما سأقوله له الآن، يجب أن يبقى محصورا بين كلينا.

وابتعد الشرطي، مصطحبا معه الطبيب، مستفسرا منه عن حالة غريبوي، فأكد الطبيب أن الجريح لن يعيش حتى آخر هذا النهار.

موت غريبوي

تأثر الشرطي كثيرا من حكم الطبيب، لشدة ما كان يحب غريبوي، ويقـدر له تضحيتـه حتى الفـداء. وكان يشعر بالألم الذي سيعتمر كارولين لفقدانها شقيقها.

الشرطي (مفكرا)

عهدت به الي، وكان من واجبي أن أعيده اليها سليما سلمتني اياه. ستلقاه جريحا محتضرا، وسيموت بسببي ومن أجلي.

بقي نحـو ساعة غارقا في الأفكار المؤلمة، وهو يذرع مدخل البيت الذي يتقبل فيه صديقه المحتضر آخر صلوات الكاهن. ومن حين الى آخـر، يمسح دمعة هاربة، ثم يعود فيبتسم سـرة أنه سيعوض على

كارولين ويحميها طوال بقيـة حياتها. سمع الكاهن يناديه، فدخل، وصعق لرؤية ملامح غريبوي الشاحبة كثيرا.

الكاهن

لم يعد له الكثير. سأنادي كارولين فورا. ابق معه. يبدو أنه استعاد لمعة الذكاء التي كانت دوما تنقصه.

جلس الشرطي بجانب صديقه، فمد له هذا يده.

غريبوي

ياصديقي.. تحسنت قليلا. هدأ رأسي بعد هدير مؤلم.. وأشعر، أوضح، بلذة أنني أمـوت عنك. كأنني أرد الفضل لكارولين عن كل مافعلته لأجلي. فكرة أنني أتركها في عهدتك، تخفف عني صعوبة الفراق الذي لن يكـون طويـلا. ستـوافيـانني أمام وجه الله، وبجانب أمي التي تنتظرني. ابق هنا، الى جانبي، ولاتتركني. لم يعد لي سوى دقائق...

أخذ الشرطي يد غريبوي وشد عليها. بعد نحو نصف ساعة، انفتح الباب ووثبت منه كارولين شاحبة دامعة، فانهارت على سرير أخيها، تغمره بذراعيها وهي تشهق من بكاء أعاقها عن كل كلام.

غريبوي (مبتسما ومقويا من عزيمة كارولين)

لاتبكي ياحبيبتي. أنـا سعيد! تعرفين أنني كنت راغبا في الموت. لن أدعك وحدك. سأسلمك الى شقيق قلبي وأطلب منك ياعزيزتي الغالية، أن تكـوني... زوجتـه! هو أيضا يطلب ذلك منك. عديني بأن تقبلي. ياصديقي، وأنت أيضا عدها أمامي. كارولين، قولي له: «نعم» قبل أن أموت.

كان الشرطي قد اقترب من كارولين التي، لكل جواب، تمد اليه يدها فيما الأخرى بين يدي غريبوي.

الشرطي (بصوت متهدج من التأثر)

كارولين، اقسم لأخي غريبـوي أن أحفـظك طوال حياتي، وأسعدك،

وتكوني اهتمامي الوحيد.

غريبوي (ببعض قلق)

كارولين... ألا تجيبين؟؟ قولي أمامي: هل ستصبحين زوجته؟

كارولين (بصوت خفيض)

أحبه... وسأكون زوجته.

غريبوي

شكرا كارولين... شكرا... الآن، يمكنني أن أموت.. الوداع ياشقيقتي الحبيبة... باركيني.. الوداع ياأخي الحبيب... أين حضرة الكاهن؟ لاأراه.. لم أعد أرى أحدا...

الكاهن

أنا هنا يابني. هنا بقربك...

بدا غريبوي على وعي وذكاء كان يفتقر اليهما طوال حياته. فتقبل صلاة الموت، وظل يقوي كارولين والشرطي، وطلب أن يرى العمدة، فانبرى الشرطي سريعا لتلبية طلبه. وماروى للعمدة ماحصل، حتى هرع هذا الاخير الى غريبوي، فوجده بدأ نفسه يضيق، وكلامه يبطؤ، وصوته يتقطع. لكنه عرف العمدة...

غريبوي

شكرا... على مجيئك... أعرف أنني... غالبا... أثرت.. غضبك.. فسا..محني.. واطلب.. من السيدة... ديلمي.. أن.. تغفر.. لي.. هات.. يدك.. علامة.. السماح..

اختنق العمدة بالكلام، فمد يده اليه. أخذها غريبوي وقبلها مرارا، وكذلك يد كارولين ويد الشرطي، فقبلهما معا.

غريبوي

والآن.. انتهيت... أمي... تناديني... الوداع... كارولين.. الى اللقاء.. وداعا.. أيها الشرطي.. وداعا.. حضرة الكاهن.. أنا.. آت أماه... أنا... آت.. آ..ت..

وأطلق غريبوي زفرته الأخيرة.

كان الجميع جاثين عند سريره، صامتين، ولم يكن يخترق الصمت سوى شهقـات كارولين وصلوات الكـاهن يرددهـا وراءه الشرطي والعمدة. ثم نهض الكاهن، تأمل في وجه الميت، صلى على رأسه مرة أخيرة، وساعد كارولين على النهوض، مسلما اياها الى الحامي الذي أراده لهـا أخوها. لم تقاوم كارولين، بل قبلت أخاها القبلة الأخيرة، وألقت عليه النظرة الأخيرة، واستسلمت بين ذراعي الانسان الوحيد الباقي لها.

الشرطي

حضرة الكـاهن، ماذا علي تجاه هذه الفتاة المسكينة؟ لاهي تستطيع المجيء الى بيتي، ولاهي تستطيع البقاء هنا.

الكاهن

احملهـا، وهي في غيبوبتها، الى الحديقة، فبعض الهواء ينعشها، ثم اصطحبها الى بيتي.

الشرطي

شكـرا حضرة الكـاهن، ألف شكـر. لن تشعر بأمان كما عندك. كل ماتفعله من أجلها، فانما من أجلي تفعله أيضا. وأنا ممتن لك طوال حياتي.

الكاهن

ستظهر لي امتنانك بأن تسعدها.

الشرطي

أعدك بشرفي العسكري.

وحمل الشرطي كارولين الى مقعد في الحديقة، وبلل جبينها وصدغيها بماء بارد. وما هي الا لحظات حتى أفاقت من غيبوبتها، ونفرت دموعها من جديد بحرقة واعية على غريبوي الذي كان سعيدا بأن يموت لأنه

قدم حياته فداء عن صديقه، وترك شقيقته في عهدة رجل أمين وشريف يعوض لها أخاها.

عاملها الشرطي بهدوء وحنان، وروى لها تفاصيل كانت تجهلها، عن اندفاع أخيها الشجاع، وحدثها عن مستقبلهما معا، وجدد لها وعده بحمايتها وتأمين سعادتها. ونجح في تهدئة حزنها قليلا. تقبلت كارولين عزاء صديقها، وتقوت، فاستندت الى ذراعه لتنهض.

كارولين

أريد إلقاء نظرة أخيرة على شقيقي. هذا يخفف عني ويساعدني.

الشرطي

كارولين، أخشى أن يعيدك هذا المشهد الى حالتك الصعبة.

كارولين

لاعليك. انقضت الصدمة الأولى. أشعر بروح أخي تعينني، وتستمد لي من الله شجاعة احتمالي الفراق. ثق بي. ألا تعرفني معتادة على الصدمات؟

الشرطي

اذن تعالي. ولنقبل أخانا قبلة أخيرة.

وأعادها الشرطي الى الغرفة، حيث كان الكاهن يصلي على الجثمان، والعمدة خرج. تقدمت كارولين بخطى واثقة من السرير، انحنت على وجه أخيها الباسم، وقبلته على جبينه وخديه الشاحبين. صلت جاثية عند السرير، ونهضت في حين كان الشرطي قد بدأ يقلق على حالها.

كارولين (دامعة انما متماسكة)

هيا. فلنذهب. حضرة الكاهن، أنا جاهزة للذهاب الى بيتك. انما قل لي: من سيبقى مع الجثمان؟

الشرطي.

أنا.

الكاهن

ولاأنت. بل نانـون المعتـادة على ذلك. اذا احتجنـاك ايها الشرطي، نستدعيك. رافق الشرطي الكاهن وكارولين حتى الباب، وودعهما طويلا بنظره، ثم الى صديقه المسجى، وقبله على جبينه.

الشرطي (متأملا وجه غريبوي)

الوداع ياصديقي. أحببتني في حياتك وأحببتني أكثر في مماتك: قدمت حيـاتك من أجلي وأوصيت لي بأختك ثروة الطيبة والحكمة والحنان.

الوداع ياصديقي. باركنا وصل لنا.

وشعر الشرطي بهدوء في نفسه، فصلى بصفاء. وماهي إلا دقائق، حتى وصلت نانون.

نانون (داخلة)

ميت آخر للتكفين. كيف تركته يموت قتلا؟ ألم تكن تستطيع حمايته؟

الشرطي

انها مشيئة الله أن يتلقى هو الرصاصة في صدره.

نانون

ولماذا اصطحبته معك؟ هل من يصطحب ولدا لمطاردة مجرم؟

الشرطي

هو الذي أصر على المجيء. كان يحبني ويرفض أن يتركني.

نانون

وهذا منطق!!! شرطي ينصاع لرغبة ولد.

الشرطي

وهل أنت هنا لتأنيبي أم لمساعدتي في التكفين؟

نانون

مساعدتك؟ أبدا. لن تمس شيئا. هذا ليس شغلك. هات لي الأدوات.

الشرطي

وماهي؟ كيف أعطيك مالا أعرفه؟

نانون

الا تعرف ماذا عليك أن تعطيني؟ اذن انصرف ودعني اشتغل وحدي.

أنتم رجال الشرطي. لاتعرفون الا توقيف الناس والتسبب بموتهم.

الشرطي (نافد الصبر)

ايتها العجوز الثرثارة، افعلي ماتشائين. وناديني حين تحتاجين الي.

نانون

لن اناديك مطلقا، ياشرطي النحس.

وخرج الشرطي، فأخذت تهيىء عملها وهي تدمدم.

نانون

أي أهوج هذا! شرطي في الثلاثين يدفع ولدا الى الموت مكانه! مسكين غريبوي! لا قلب لهم هؤلاء الشرطة! وهذه المسكينة كارولين.. ها هي الآن في وضـع آخر: لاأخ. لاأحد. لو كان لهذا الشرطي تفكير سوي لأعطاها، تعويضا، كل مايملك. وقد يستبقيها الكاهن طويلا عندنا في البيت فتزداد مهامي. كانني، بعد، احتمل فوق احتمال الكاهن الذي لايفعـل شيئا طوال النهار، وبيلاجي التي تمضي نهارها في الصلاة. ولكن... اذا اتت، فعـلا، قد تكـون مفيدة لي: فهي... تطهو جيدا، وتغسل وتكوي وتخيط وتهتم بجبب الكاهن. ولكن، أيضا، ماقيمة كل هذا بازاء ما أقوم به؟

وفيمـا هي تدمدم، كانت نانون تنهي تكفين غريبوي. ثم مددته على السرير الابيض، واضاءت شمعتين ثم جلست في مقعد، تنتظر جارتين لها كانت استدعتهما في طريقها لتسهرا معها على الميت.

وصلت الجارتان، ثرثرتا بكلام تقليدي سخيف، ثم سحبتا من جيوبهما مؤونـة البن والسكـر والخبـز وماء الحياة، مما اقترحتا أنه يلزمهن لتمضية الليل الطويل.

في الخارج، طال انتظار الشرطي، فنفد صبره وغادر الحديقة ودخل، ففوجىء بالنسوة الثلاث مستريحات في مقاعدهن يتحدثن بانشراح.

الشرطي

هل هكذا تستدعينني وأنا بانتظارك في الخارج؟

نانون

مادمنا صرنا ثلاثا، فلن نحتاجك.

لم ينفعل الشرطي، بل دنا من الجثمان المكفن، وجثا وصلى للمرة الأخيرة. ثم نهض وخرج بدون أي تعليق، متوجها الى السجن لمتابعة وظيفته. وكانت أوامره أن يستدعى المحقق لاستجواب ميشال عن جريمتيه، لرفع تقرير الى القاضي تمهيدا لمحاكمة المجرم واحالته الى المراجع المختصة.

تم كل شيء بحسب الاصول: استجوب ميشال وحوكم واعترف بالجريمتين واقتيد مخفورا وعوقب بصدور حكم صارم: الاعدام، وتم التنفيذ فورا، فمات ميتة المجرمين.

في هذه الأثناء، لم تكف النسوة عن الثرثرة الخبيثة.

نانون

هل لاحظتما كيف جثا الشرطي عند جثة البريء الذي مات بسببه؟

فرازي

قد يكون هو الذي دفعه في وجه مسدس ميشال.

نانون

لا أستبعد. الشرطي لاقلب له. وهو قادر على كل شيء.

لويزون

مع ان هذا الشرطي جيد. حتى روز لم تتذمر منه يوم أوقفها.

فرازي

لم أفهم حتى الآن كيف تم ذلك معها...

فشرحت لهما نانون، وعلى طريقتها، ماجرى ليلتئذ. لم تجد فرازي ولويزون وضوحا في السرد، لكنهما تظاهرتا بالفهم كي لاتثيراها. ثم عادتا الى الكلام على روز وميشال.

لويزون

قصة حزينة! مع أنني كنت نبهت روز فلم تنتصح. وبقيت مأخوذة بميشال المتسكع المتعيش من السرقات. كانت تحبه على مايبدو.

فرازي

كانت تعرف حقيقته. لكنها كانت مستميتة لتتزوج كيفما كان، بعدما لم يعد أحد يرضى أن يتزوجها.

نانون

ومن يرضى بتلك الصهباء الفقيرة السمينة الحقود الثرثارة العجوز الشمطاء الغبية البلهاء؟

لويزون (محاولة انهاء هذا الحوار)

مارأيكما لو نصلي على الجثمان قليلا؟

نانون

فلتقم كل واحدة منا بدورها.

نهضت لويزون قرب السرير، وهي كانت الأقل خبثا وثرثرة بين الثلاث، فأخذت تصلي، فيما أكملت نانون وفرازي حوارهما.

فرازي

وماسيكون مصير كارولين؟ لايمكنها البقاء وحدها في هذا البيت.

نانون

ستكون من نصيبي. قرر حضرة الكاهن الجليل أن يصطحبها الى البيت. لست أدري كم ستبقى عندنا وكيف يمكن أن نتخلص منها في ما بعد.

فرازي

وما كان يمكنه أن يفعل غير ذلك؟

نانون

أن يتركها، مثلا، في عهدة الشرطي الذي هو السبب في مقتل أخيها.

فرازي

هل يمكن فتاة ككارولين أن تعيش في حراسة شرطي؟

نانون

ولم لا؟ ولماذا هو [illegible]؟

فرازي

لكنه لا يزال فتي السن.

نانون

وهل على [illegible] أن يكون [illegible] شاقة، الركض ليل نهار في البرد والحر، في الثلج [illegible] والريح، في الصحو والغبار، ثم [illegible] في [illegible] يلقى القبض عليهم، احتمال التعذيب والعناء [illegible] صحة وعافية وشبابا وشجاعة؟ أتعتقدين أن شرطيا [illegible] يحتمل هذه المشقات؟

فرازي

الحق معك. ولكن هذا ليس كافيا ليدع الكاهن كارولين [illegible] الشرطي.

نانون

لست أدري. إنها حالة طارئة. وسأتحملها على منكبي.

كانت المرأتان مسترسلتين في الحديث عن كارولين، حتى لم تنتبها الى انفتاح الباب ودخول الكاهن وجثيه قرب لويزون النائمة عميقا بدل أن تصلي. وسمع، بحكم وجوده، قسما كبيرا من الحديث، الذي أثاره لما تبين من نية تجاه كارولين. وفكر في كيفية تجنيب الفتاة المسكينة لدغات خادمته. لم يجد غير منزله ملجأ أمينا لها. العمدة كان يرضى بايوائها لولا زوجته.. بعد تفكير طويل ومضنٍ، قرر أن الخلاص الوحيد هو في تقريب زواج كارولين والشرطي تأمينا للأمان الذي غاب أخوها وهو يريده لها.

استقر على هذا القرار، فارتاح له، واقترب من العجوزين ففوجئتا به وصرختا فأيقظتا لويزون من غفوتها العميقة، وجثت النسوة الثلاث مرتعدات.

الكاهن

انهضن أيتهـا الثـرثارات. سمعت حواركن. نانون، ان نيتك السيئة تفسد عمل الخير الذي كنت أنوي القيام به. ولكي لا أثير مزاجك السيء سأكتفي بايواء كارولين في بيتي خمسة عشر يوما فقط، أنصاع بعدها لاقتراحك بتسليمها الى الشرطي الذي لم يكن سبب موت أخيها بل صديقه.

استغربت فرازي ولويزون كلام الكاهن، وهمت نانون بالاعتذار، لكن الكاهن كان قد خرج.

نانون (بعد خروج الكاهن)

وهـذه بدعـة جديـدة!! معقول أن يقدم الكاهن على هذا؟ يترك فتاة مسكينة بين زمرة رجال الشرطة؟

فرازي

انها غلطتك. ألم تكوني قبل قليل تريدين ذلك؟ وجد الكاهن أنها تكون في أمان بين رجال أقوياء وشرفاء، أكثر مما مع ذات لسان خبيث مثلك.

نانون

لسان خبيث؟ وتلسعينني بلسانك الخبيث هذا؟ خيبتما أملي، وعلى كل حال، لن تسعف صلواتكما غريبوي في بلوغ الفردوس. هذه آخر مرة أدعوكما فيها الى السهر معي على جثمان.

فرازي

وهذا ما أشكرك عليه. وهل سهرة لطيفة أن نقضي الليل مع جثة ميت، ولسان خبيث ثرثار!

همت نانون بالجواب، لكن لويزون نبهتهما الى عيب هذا الحوار في

حضرة الموت. وبعد محاولات متعثرة، نجحت في تهدئة المرأتين، وعادت الثلاث الى تمضية الليل بدون شجار. ومر الليل حزينا وثقيلا، وخاصة على نانون التي ندمت لغضبها وتصرفها.

صباح اليوم التالي، جاء مختصون بشؤون المآتم، فوضعوا غريبوي في التابوت، استعدادا لمراسم الدفن، في الوقت الذي حدده الكاهن.

الدفن والزواج

انشغل الشرطي، حتى الليل، بتحريات الجريمة والوفاة ومحاكمة المجـرم وتنفيـذ الحكم. ولدى انتهـائه، توجه الى بيت الكاهن لتفقد كارولين، فوجدها حزينة، تنفر من عينيها أحيانا دموع خجولة، رغم محاولتها التماسك والتجالد. استقبلته بابتسامة هنيئة، وواصل معها الحوار الذي كان بدأه معها عند الصباح. تأكدت أن أخاها لم يكن وحـده، وتلقت منـه معلومات اضافية عن حدسه ورؤاه في لقاء أمه، وابتسمت لمقطع الحديث عن جاكو. استفسر الشرطي عن موعد الدفن ووعدها بأن يكون في طليعة الموكب.

دخل الكاهن وفاتح الشرطي بضرورة استعجال الزواج فورا بعد

الدفن. التفت الشرطي الى كارولين ليستطلع رأيها.

كارولين (مجيبة عن التفاتته)

أفعل ماينصحني به حضرة الكاهن.

الكاهن

أهنئك ياابنتي على حكمتك وهناءتك. سنتصرف بكل مايلزم، أنا والشرطي.

كارولين

أمنية وحيدة: أن يتم كل هذا بدون عرس وبهرجة وبدون حشد.

الشرطي

وهكذا أرغب أنا أيضا. وحده أخوك سيحضر العرس، كما قال لي قبيل غيابه. بكت كارولين ثم ابتسمت.

ومضى النهار، كالعشية قبله، بين دمعة وابتسامة.

حل يوم الدفن، فكان موكب الجنازة حاشدا، لأن موت غريبوي ترك في البلدة أثرا واسعا. على رأس الموكب: الشرطي والعمدة. كانت كارولين في قمة حزنها، وتأثرها، لكنها شاعرة بقوة من أخيها انتقلت اليها.

وتابعت، من بعيد، بلوغ التابوت المقبرة، وانهارت عند شجرة، تبكي مريرا انفصالها عن أخيها باقي حياتها. ثم شعرت بيدين تنهضانها بهدوء، كانتا يدي الكاهن والشرطي عادا من الدفن. كانت عين الشرطي ماتزال دامعة، فسند خطيبته بذراعها، واصطحبها الى مقرها المؤقت في بيت الكاهن.

مرت هنيئةً، الخمسة عشر يوما التي سبقت زواجهما. لم تكن نانون تدمدم كثيرا، خوفاً من الشرطي الذي نهرها يوما إذ همت بالكلام على كارولين.

وحل يوم العرس، فكان هادئا. وقف العمدة وصديق له شاهدين لكارولين على الزواج، فيما اثنان من رفاق الشرطي وقفا شاهدين له.

بعد المراسم، كان غداء عند الكاهن على شرف العروسين والشهود. تفرق بعده الجميع.

توجهت كارولين وزوجها الشرطي، في أول زيارة لهما بعد العرس، الى قبر غريبوي. وفيما كانت جاثية، بجانب زوجها، تصلي لأخيها أن يبارك خطوتها، شعرت وزوجها كذلك، بسلام يغمر قلبيهما.

كارولين (وهي تشد على يد زوجها)

انها لحظة سلام من صلوات غريبوي.

الشرطي (ممسكا يد زوجته)

لقد وعدنا بأن يسهر علينا.

ثم اصطحب الشرطي كارولين الى منزله، فبادرت فورا الى ترتيبه.

لكنهما، بعد قضاء أيام قليلة فيه، قر رأيهما على الانتقال الىمنزل كارولين.

كارولين

هناك، لي ذكريات حبيبة، وروح أمي وروح أخي تسعفاني على الاحتمال.

استعادت كارولين * مهنة الخياطة، وكثرت أشغالها فاستقدمت عاملة، ثم اثنتين، ثم أكثر.

وسعد الزوجان في حياتهما، وظل العمدة على علاقة بهما، يزورهما غالبا بعد نهاية دوامه، فيما السيدة ديلمي لم تغفر لكارولين أنها تركتها بعد دخولها في حميميات هندامها. وولداها نسيا كارولين وغريبوي، مع انهما تأثرا لموت هذا الأخير.

ولم يطل الأمر، حتى تشاجرت السيدة ديلمي مع صديقاتها: السيدة غريبو، السيدة لودو، والسيدة بيرون *.

أما الكاهن، فعاش طويلا بعدها، انما بدون نانون التي زادت من تصرفاتها فصرفها وذهبت تعيش مع عائلتها، وحلت مكاني بيلاجي

فكرست حياتها لخدمة خالها .

وطويلا بعدها، بقي المارة عند تلك المقبرة، يقرأون على بلاطة بيضاء اسما وعمرا وتاريخ وفاة. لأن ذكرى غريبوي بقيت طويلا في بال أهل تلك البلدة من منطقة النورماندي، على بعد أميال قليلة من مدينة فرنوي.

الفهرس

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٥٦٨ لسنة ١٩٨٩

شركة المنصور للطباعة المحــدودة - تلفــون ٣٢٥١٣٦١٤



وزارة الثقافة والاعلام
دار ثقافة الاطفال
سلسلة روايات عالمية

تعود الفكرة الأساسية لهذا الكتاب (*) الى ذكرى قديمة من طفولتي، في مسرحية شاهدتها بعنوان «شقيقة جوكريس» (لمؤلفيها الثلاثة: دوفير، فارنر، لوزان).

اقتطفت منها اليوم عبارتين أو ثلاثا، وبعض المواقف المرحة، وسعتها لتسلي فتياتنا وفتياننا، ولعل أبرزها تلك العداوة بين الولد غريبوي والببغاء.

واذا غريبوي وجوكريس توأمان، في الأصل، فان غريبوي، في قصتي، قلد ـ ولو بدون إرادته ـ سلفه الساذج المرح.

وآمل أن يسامحني المؤلفون الثلاثة على هذا القدر، ولو الضئيل، من هذه السرقة الأدبية.

الكونتيسة دي سيجور

(*) العنوان الاساسي لهذا الكتاب بالفرنسية: (شقيقة غريبوي) لكننا آثرنا أن نجعله (كارولين) تسهيلا للفظه وذلك اتفاقاً مع الناشر العربي ـ

المترجم

السعر ١,٢٥٠ دينار

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٥٦٨ لسنة ١٩٨٩
شركة المنصور للطباعة المحدودة ـ تلفون ٤١٦٣١٥٣